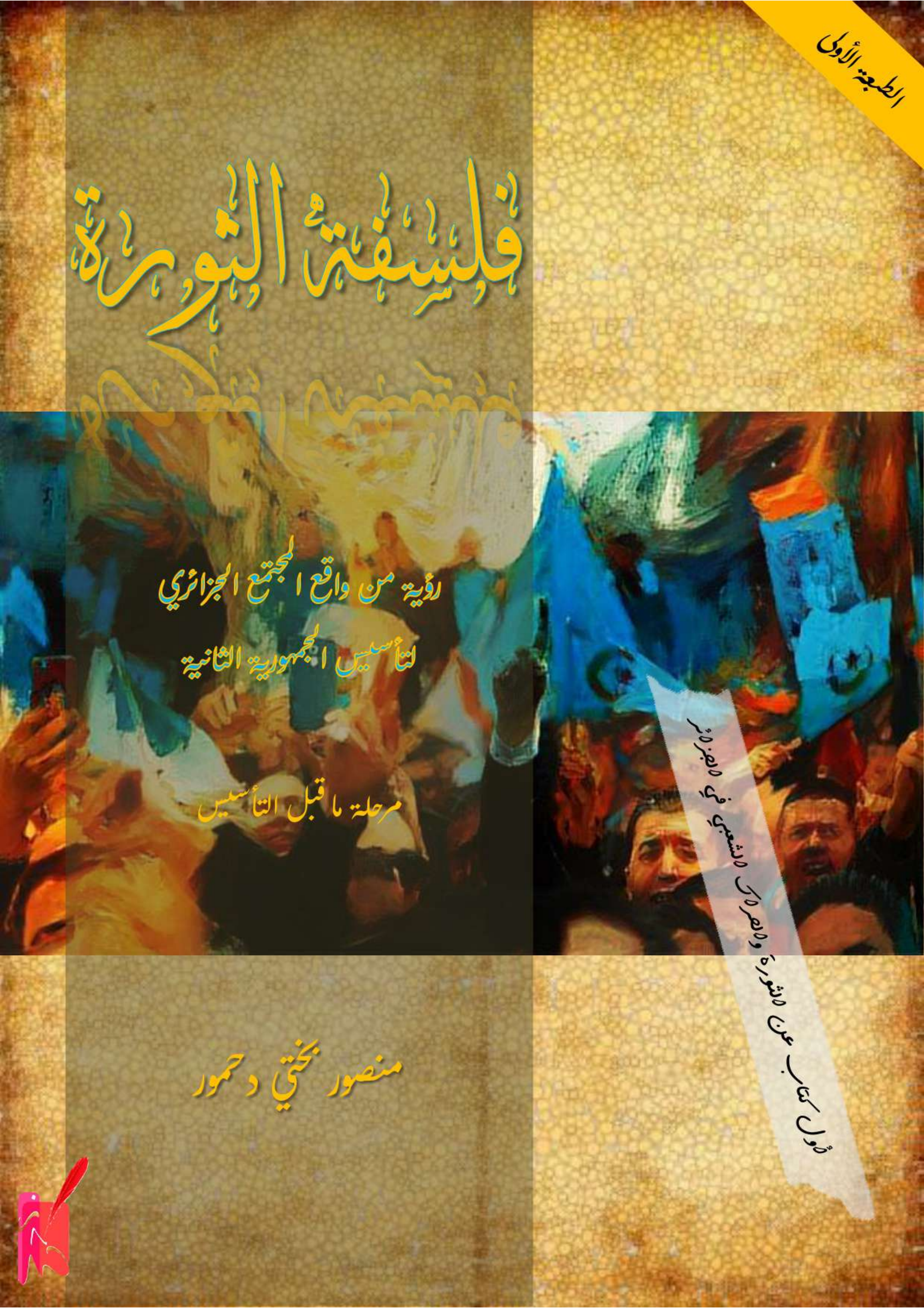

الطبعة الأولى
فلسفة الثورة
رؤية من واقع المجتمع الجزائري
لتأسيس الجمهورية الثانية
مرحلة ما قبل التأسيس
منصور بختي دحمور
أول كتاب عن الثورة والحراك الشعبي في الجزائر

فلسفة الثورة

رؤية من واقع المجتمع الجزائري لتأسيس الجمهورية الثانية

فلسفة الـثورة

أول كتاب عن الـثورة والحراك الـشعبي في الجزائر

الكاتب: منصور بختي دحمور

الكتاب: فلسفة الثورة: رؤية من واقع المجتمع الجزائري لتأسيس الجمهورية الثانية (مرحلة ما قبل التأسيس)

التصنيف: الفلسفة / علم الاجتماع / السياسة

الناشر: منشورات زخّة الشهب للنشر الإلكتروني
الطبعة: الأولى / نيسان 2019 / شعبان 1440

البريد الإلكتروني لمنشورات زخّة الشهب :

e-mail :zakhat.achohob@gmail.com

مقياس الكتاب: 14 × 21
عدد الصفحات: 130 صفحة



منشورات زخة الشهب

فلسفة الثورة

رؤية من واقع المجتمع الجزائري لتأسيس الجمهورية الثانية

مرحلة ما قبل التأسيس

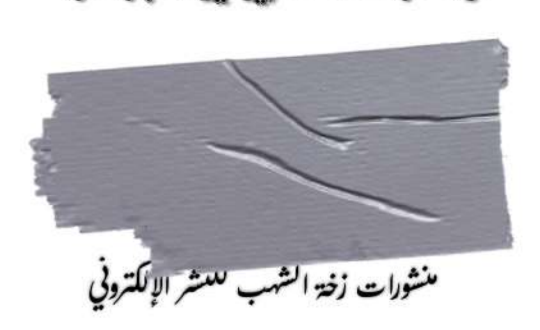
تأليف:

منصور بختي دحمور



منشورات زخة الشهب

أول كتاب عن الثورة
والحراك الشعبي في الجزائر



منشورات زخة الشهب للنشر الإلكتروني

محتويات الكتاب

ترخيص من المؤلف

يرخص المؤلف بمقتضى حقوقه في التأليف والملكية الكاملة للكتاب لأي ناشر أو دار نشر ورقية كانت أو إلكترونية داخل الجزائر أو خارجها بنشر هذا الكتاب بصفة ورقية أو إلكترونية أو صوتية بدون طلب الإذن منه شريطة عدم التصرف في الأفكار والعبارات بزيادة أو نقصان وأي إخلال بالشرط المذكور يتحمل الناشر المخل بذلك مسؤوليته الكاملة أمام القانون.

المؤلف: منصور بختي دحمور

للشعب والتاريخ

نحن سننتصر لأنّنا نمثّل قوة المستقبل الزّاهر، و أما أنتم فستهزمون، لأنّكم تريدون وقف عجلة التاريخ الذي سيسحقكم، لأنكم تريدون التشبث بماض استعماري متعفّن حكم عليه العصر بالزّوال، ولئن متّ فإنّ هناك آلاف الجزائريين سيأتون بعدي لمواصلة الكفاح من أجل عقيدتنا.

الشهيد العربي بن مهيدي

رحمه الله

إهداء

أهدي هذه المجموعة من المقالات...

إلى الشعوب المستضعفة في الأرض..

إلى شهداء التحرر والحرية..

إلى الحراك الشعبي والنهضويين في الجزائر..

إلى أخي رابح..

الذي دافع عن الوطن في صفوف القوات الخاصة تحت لواء الجيش الشعبي الوطني منذ 1992 إلى غاية 1999 ضد الجماعات الإرهابية وهُضم حقه بسبب العصابة وتوفي وهو ينتظر التغيير

منصور بختي دحمور



أخي رابح دحمور أيام العشرية السوداء رحمه الله تعالى

(ولاية سعيدة)



أخي رابح دحمور أيام العشرية السوداء رحمه الله تعالى رفقة أحد أصدقائه

(جبال أم البواقي)

مقدمة



كثيرا ما كنت عن أتساءل السر في تسلط الحكام على شعوبهم من جهة الحاكم الذي يستبد برأيه وفعله ومن جهة الشعب الذي يخضع لتلك الإرادة، كيف يشعر الحاكم بكونه شريفا وهو كذلك، وكيف تشعر الشعوب بتواطئها في ذلك؟

- **من الذي يصنع التاريخ؟ المستبد أو المستضعفون في الأرض؟**

"يجب أن ينتهي التاريخ في نقطة ما؛ كي يتجدد في نقطة جديدة، يجب أن يفشل التاريخ، يجب أن يفلس التاريخ، وأحيانا يجب أن نعلن الإفلاس كي نشعر الناس جميعا وخصوصا الشباب بأن هذا الإفلاس طريق البداية، إعلان الإفلاس هو أول خطوة في الطريق الصحيح"،

"محال أن يتحرَّر بدنٌ يحمل عقلاً عبدًا"
الإمام ابن باديس

هكذا تعلمنا من الفيلسوف مالك بن نبي الذي ظلمه شعبه واحتظنت فلسفته شعوب أخرى، بكل بساطة، هكذا نبذ الوطن أبناءه بالنفي أحيانا، وبالموت بين أمواج البحر أحيانا كثيرة.

هناك الكثير من **الكبت التاريخي** في نفوس الشعوب، الكثير من اليأس، والكثير من عدم الراحة، تلك التصورات والمشاعر التي سرعان ما تظهر في صورة أخرى غير الصورة التي عليها وهي داخل نفوس الشعوب، **فما يصنعه المخيال الفردي يحققه المخيال الجماعي للمجتمع وفق هندسة أخرى قد تسمى بهندسة العقول، أو هندسة العقل الجماعي**.

من بين أهم صور ذلك التاريخ المشترك بين نفسيات أفراد المجتمع والتي تظهر في صور أخرى يحققها المخيال المجتمعي هو **ظاهرة الثورة، التي تمثل أصعب حركات التاريخ والتي قد تلغي جميع الهندسات السياسية والاقتصادية والفكرية، بل قد تعيد صناعة هندسة جديدة للعالم ككل**، قد تقلب أنظمة للحكم دامت لقرون، كما قد تغير خريطة العالم وتعيد رسم حدوده الجغرافية.

فلسفة الثورة هي فلسفة الشعوب، وإذا انفكت الفلسفة عن العقل الجمعي للمجتمعات فلا وجود لما يسمى بفلسفة الثورة من الأساس، بمعنى لا وجود لفلسفة الثورة من دون وجود المجتمعات الثائرة، ولعل الأفكار على اتساع نطاق دقتها

وغموضها أمام العقل المجتمعي إلا أن **الثورة هي الفلسفة الوحيدة التي يتعلمها الأكاديميون والباحثون في المجتمعات الإنسانية من الشعوب نفسها، وبهذا فإن هذه الفلسفة تُدرّس في عمق المجتمع البسيط، في عمق القهر، في عمق الشعب الثائر**، وهذا ما يجعلنا نقول أن انتقاد الشعوب في ثورتها ضد الاستبداد ورفض الاستعباد قول بغير علم لأن الناقد للشعوب دون نقده لمن قهر الشعوب منفي من دائرة معاناة المستضعفين، **فالثورة تولد من رحم الأزمة بتنظير من يعاني**، "فلا يمكنك إشعال ثورة بقفازات من الحرير"[1].

هكذا كان حراك 22 فبراير في الجزائر لم يُصنع من قفازات من حرير ولا يزال متواصلا في عمق الأزمة التي ولد فيها.

إن الحديث عن الحراك الشعبي في أرض الوطن ليس وليد الفكرة العابرة وإنما هو التاريخ نفسه الذي عاشه ويعيشه الوطن منذ لحظة إعلان الاستقلال الوطني عام 1962، ولعلنا هنا نذكر ما لم يذكره أحد من قبل، خوفا من التهمة أو مسايرة للواقع، فالجزائر تعيش منذ لحظة استقلالها صراعا على ثلاث معان:

- **صراع بين مرحلة الثورة ومرحلة الاستقلال حول**

---

[1] - جوزيف ستالين.

بناء الدولة ورسم سياستها.

- **صراع بين الشرعية الثورية والشرعية الدستورية حول بناء العدل ورسم حقيقته.**
- **صراع بين الفكر الاستعماري والفكر الحرّ حول بناء المجتمع ورسم هويته.**

عندما نستمع إلى الكلمات الأكثر شهرة في بيان ثورة الفاتح من نوفمبر والتي يحفظها الشعب عن ظهر قلب: "**إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية**"؛ نشعر وكأننا خنّا العهد النوفمبري وطوينا كتاب الفكر الثوري وانتقلنا حقيقة من عهد الاستعمار إلى عهد الاستدمار، ربما لم يكن استدمارا بالمعنى الكليّ؛ ولكنه استدمار لثقة الشهداء وتطلعات الشعب وفرض لتفكير أحادي النظرة جرّ البلاد إلى مستنقع العشرية السوداء ليوصلنا إلى لحظة ما لابد منه، استرجاعا للعهد النوفمبري وكأنني بمن وقع شهيد التضحية والقضية من شهداء الوطن يقول: "حاولوا دفننا ولم يعلموا أننا بذور"[2].

إنّ الحراك الشعبي الذي نعيشه في هذه اللحظات حتمية تاريخية لسيرورة تاريخنا الوطني، وكلما عرفنا وكشفنا تلك

---

[2] - تشي جيفارا.

الحقائق حول ما نعيشه من استعمار جديدة في ثوبه اللامرئي[3] نتيقن "**أن الإستعمار ليس مجرد عارض، بل هو نتيجة حتمية لانحطاطنا**"؛ وهذا ما كان علينا أن نعيه منذ اللحظة التي تكلم فيها مالك بن نبي بذلك، لأن البحث عن الحرية بين حطام التاريخ أكبر مجازفة من التحرر الذي صنعه زعماء الثورة الجزائرية قبلنا.

في اللحظة التي نادى فيها عمر المختار: "إنني أؤمن بحقي في الحرية، وحق بلادي في الحياة، وهذا الإيمان أقوى من كل سلاح"، كان يقصد ذلك الوعي الثوري الذي سقي بالقهر والأزمات، **ولعلنا اليوم نعيش ما هو أعظم خطرا من معرفة العدو مباشرة، لأننا كجزائريين وعرب ومسلمين بشكل عام نعيش الأزمة المركبة لتتويه العقل العام للأمة، بعبارة أخرى نحن نعيش زمن الوهم حيث لا مقدرة لعقولنا فيه أن تفرق بين الحقيقة والخيال**، قال فيلسوف الاستدمار نعوم تشومسكي: "باختيار منا؛ يمكننا أن نعيش في عالم من الوهم المريح".

إن التحول من منطق الطبقية السلطوية إلى منطق أن لا سلطة إلا للشعب يعد أكبر عقبة ذهنية يجتازها المجتمع

---

[3] - وهو الاستعمار التوجيهي الذي سنتكلم عن جانب منه ونقصد به السيطرة الخارجية على صناعة القرار والتحكم في اقتصاديات الدول عن طريق منطق صناعة الأزمة.

المستضعف بحثا عن الحق ومعرفة بالواجب، ليدرك كل فرد من ذلك المجتمع أن **الثورة ضد الاستبداد وتحرير الوطن من يد الاستعباد الاستعماري أول واجب عليه تجاه وطنه وتجاه نفسه وتجاه صناعة التاريخ**؛ فإذا قرأنا المسألة بمزيد نظر علمنا أن **أول حق للوطن على شعبه تخليصه من براثن التسلط والاحتلال غير المباشر**.

تستلزم صناعة التاريخ صناعة جيل غير مغيّب عن الحقائق يخلق وعيا جماعيا بالوطن وقضايا الحرية والعدل والمساواة، "لأن الأمر العام لا يتغير إلا بالعام نفسه أي بالمجتمع ككل"[4].

إذا الشعبُ يومًا أرادَ الحياة فلابد أن يَستجيبَ القَدَرْ

منصور بختي دحمور

10 أبريل 2019

[4] - من مقال للمؤلف بعنوان: "فلسفة الواقع: مالذي تحتاجه الأمة الإسلامية"، صدر شهر أكتوبر 2014، في جرائد وطنية.

الانتفاضة الشعبية وتغير الذهنيات

علينا أن نتيقن أن **الحركة الجماعية وليدة تغير الذهنيات؛** وعلى هذا فإن **صناعة الثورة لابد أن تلزمنا بتغيير الذهنية الجماعية للشعب،** ولفهم هذا علينا أن نفهم أن المساهم الأول في تغيير الذهنية الجماعية للشعوب هو التاريخ الذي تعيشه كما سنتحدث عنه في الفصل الموالي، ولكن ما يجب معرفته هنا:

- **هو الارتباط بين الثورة والشعب.**
- **وكيف تكون الشعوب ثائرة.**
- **وقبل ذلك كيف يتبنى الشعب كله الفكر الثوري.**

علما أن الشعب هذا هو مجموعة أفراد لكل منهم عقله وتفكيره، قال فيلسوف الحضارة مالك بن نبي رحمه الله: "لـــقد غاب

" يمكنك قتل الثوار لكن لا يمكنك قتل الثورة"
ماهاتما غاندي

عن الأذهان أن الحق ملازم للواجب ، وأن الشعب هو الذي يخلق ميثاقه ونظامه الاجتماعي والسياسي الجديد عندما يغير ما في نفسه" .

إن العلاقة بين الفرد والجماعة هي تلك العلاقة التي بدأت من إيجاد الفرد وصناعة الجماعة أولا، بالتالي فلا انفكاك للفرد عن جماعته، ولهذا قيل أنه مدني بطبعه، ليس هذا فقط، بل يمكننا القول أنه مدني بوجوده، ولهذا **فهو لا ينفك عن إنسانيته لأنه يوصف بالإنسانية من حيثية الاجتماع،** فهو يكتسب اللغة والتاريخ والقيم والمعارف والممارسات وغير ذلك من مظاهر الإنسان مما حوله، بل إن أصالة التفكير الإنساني والذي تصنعه كل مقومات الهوية في مجتمع ما تشبه مفهوم **الذهنية المتجذرة الأصيلة؛** ولا نقصد هنا **الذهنية المتغيرة** ، فالحياة الاجتماعية في وسط مجتمع ما تخلق الذهنية الفردية للإنسان والتي هي بدورها في تكامل تام مع الذهنية الجماعية إذ كل منها تصنع الأخرى وتساهم في إيجادها.

وإذا تكلمنا عن الذهنية كأساس لصناعة الرأي العام فعلينا أن نفرق بين **الذهنية المتجذرة والمتغيرة**.

فالمتجذرة هي تلك الروح النابعة من الثقة في التاريخ ، ذلك التاريخ الذي يمثل كل المكتسبات.

بينما الذهنية المتغيرة هي تلك التي يصنعها التاريخ نفسه من خلال المتغيرات التاريخية ومن خلال المقارنة بين التواريخ بمعنى تخلّق روح النقد الذاتي والجماعي، كوضع السلبيات والإيجابيات مثلا ومن هنا تظهر ذهنيةُ كسرِ تلك السلبيات لمواصلة الفخر التاريخي؛ حتى داخل مجتمع ضيق كالعائلة والقبيلة.

فإذا تكلمنا عن الذهنية من جهة الذات والآخر، فهي مرادفة نوعا ما للهوية، ولكننا نقتصر هنا عن الذهنية الفردية والجماعية وهما تكامليان تساهم كل منهما في صناعة الأخرى كما قلنا، وأما **التأثير فلكل منهما نسبة في ذلك على صعيد القابلية لنتيجة حراك تلك الذهنيات**.

إذا تكلمنا عن الانتفاضة أو الثورة، فنحن نتكلم عن الذهنية الجماعية، وكما قلنا: **إذا أردت صناعة ثورة فاصنع مجتمعا يفكر بنفس الطريقة،** وهذا التفكير هو الذهنية المجتمعية، والثورة سواء كانت فكرية أو سياسية أو مسلحة و بكل أنواعها فهي ليست إلا انعكاسا لهذا السبب المتمثل في تغير الذهنيات أو صناعة تفكير موحد.

كانت الصعوبة في صناعة رأي عام وتغيير ذهنية الشعوب مسألة صعبة في الواقع التاريخي قبل اختراع الراديو وبداية عصر المعلومة الفورية ووصلنا إلى **عصر عولمة الأفكار** ما أدى إلى صناعة أنواع جديدة من الحروب؛ ونقصد

بذلك حروب الجيل الخامس بالذات، كونها هي صانعة الثورات التي نعاصرها ونعيشها، بما فيها الثورة الجزائرية الجديدة في المطالبة بجمهورية ثانية.

إذا تكلمنا عن استخدام الثوار الجزائريين الشباب لمبادئ حروب الجيل الخامس فعلينا أن نتكلم أولا عن موضوعنا وهو تغير ذهنية المجتمع الجزائري عن طريق سببين هما:

- **الأزمات الاجتماعية التي صنعتها السلطة ورجال المال بقهر المجتمع.**
- **شمولية الأزمة عن طريق المعلومة الفورية الذي نتج عنه الانتقاد العام للنظام .**

أما الأزمات الاجتماعية فالعامل الرئيس فيها هو سوء التسيير لأملاك الدولة عن طريق خلق الطبقية داخل المجتمع الجزائري بالتالي خلق برجوازية ضخمة إن لم نقل خلق نظام إقطاعي استعبادي جديد للشعب ككل، ومن هنا رأينا توالد عائلات ذات ثروة من لاشيء، أي استلاب أموال الشعب الذي يمثل الدولة في حد ذاتها بعد مرحلة الاستقلال.

ولعلنا رأينا أن هذا السبب لم يكن ليوجد خلال مرحلة النظام الاشتراكي خلال حكم هواري بومدين رحمه الله، بينما رأينا تكالب بعض العائلات على المال الفاسد، ولكن الأمر فاق الحدود عندما بدأ رجال المال يسيطرون على دواليب

السلطة في البلاد، حيث بدأ بالتوازي تدهور الوضع الاقتصادي للمواطن البسيط بوتيرة معاكسة لما يعيشه الأثرياء، وهنا بدأ الشعور بالقهرية والاستعباد والطبقية، لتصير الثورة حتمية تاريخية، **فالثورة تكمن على الدوام وراء الأزمات،** قال آرثر شوبنهاور: "من الصعب أن تبقى صامتاً إن لم يكن لديك ما تفعله"، لذا فقد كان لزاما على السلطة "أن تفهم أن مجموعة من المظالم الاجتماعية تستطيع تخزين طاقة ثورية هائلة" كما قال أستاذنا مالك بن نبي، **فللشعوب كما أقول قانون لا يدرسه حكامهم، أول مواده أن لا يمس الحاكم كرامة رعيته، وإلا خسر شرعيته الشعبية.**

أما شمولية الأزمة[5] فنقصد بها **شعور الفرد بالانتماء إلى الشعور العام بالتالي وحدة الشعور الجمعي الذي نتج عنه الانتقاد العام للواقع المعيش،** وما ساعد على هذا هو التواصل الجماعي الفوري الموسّع عن طريق تكنولوجيا التواصل الاجتماعي التي تمثل صمام أمان حروب الجيل الخامس، قال فلاديمير لينين: "أعطني أربع سنوات لتعليم الأطفال وسترى أن البذور التي سأزرعها سوف لن تقتلع"؛ فكيف بالشعب الجزائري الذي تربى في مدرسة القهر والظلم وتعلم وأيقن أن ثورة نوفمبر اندلعت من أجل الاستقلال والحرية.

---

[5] ـ نعني بها الشعور بالمسؤولية المشتركة والمصير المشترك.

إذا عرفنا هذا عرفنا كيفية صناعة رأي عام ، وعرفنا السبب في أي انتفاضة أو ثورة لمجتمع ما.

- **ولكن هل كان من الممكن تفادي الحراك الثوري السلمي للجزائريين ؟**

بكل صراحة، لا.

والسبب في ذلك من جهتين هما:

- **عدم مسايرة السلطة لتغير ذهنيات المجتمع الجزائري:** بالتالي عدم معرفة تفكير الأجيال الصاعدة **وينتج عن ذلك خلق فجوة بين السلطة والشعب ولعل هذا ما صنع في ذهنية الشعب الجزائري فكرة استحالة التفاوض حول إسقاط النظام القائم.**
- **سياسة الأشخاص المسيطرين على دواليب السلطة في البلاد:** وهو التاريخ السلطوي وبعبارة أخرى استحالة تدارك السلطة لنفسها عن طريق تغيير نظام الحكم ، فما فعلته السلطة في عقود يستحيل أن تفعله في لحظة تفكير حول ما يحدث.

إذا فهمنا ما سبق ساقنا ذلك إلى الحديث عن أثر الذهنيات في بعضها وعلاقته بتغيير الذهنيات، فالعلاقة بين الفرد والجماعة في صناعة الذهنية علاقة تكاملية **فالذهنية الفردية**

هي نتيجة الجماعة كما أن الذهنية الجماعية وليدة الأفراد ، وهذا التلاقح الفكري والذهني يرسم صورة عامة حول الواقع عن طريق خلق **شبكة ذهنية** يعلق بها كل فرد له ولو سبب واحد يربطه بتلك الذهنية الجماعية وبالتالي **يتبنى كل ما في تلك الشبكة الذهنية تلقائيا.**

من خلال بناء الشبكة الذهنية أو الذهنية الجماعية يمكن صناعة الفكرة العامة، وبما أننا نتحدث هنا عن **فكرة الثورة فنحن نقصد الذهنية الثورية الجماعية، وهنا تكون الرؤية بعين الجماعة المنتمي إليها أي بعين الثورة نفسها ومن هنا تكون النتائج هينة على الفرد بل يتلاشى عنده الخوف من المجهول ويختفي أمامه الخوف من الموت في سبيل النضال الثوري وفي سبيل تلك الفكرة، هنا فقط نفهم تلك العلاقة الخفية بين تغير الذهنيات وصناعة الثورة،** قال هتلر: "عندما تقود الحكومة الشعب إلى الخراب بشتى الوسائل وكل الإمكانات يصبح عصيان كل فرد من أفراد الشعب حقًا من حقوقه، بل واجبًا وطنيًا عليه".

الثوار الجدد وصراع الأجيال

إن إلقاء نظرة بسيطة على مشروع الغزو التراكمي للأفكار والثقافات من طرف الإدارة الغربية ومن طرف مخابر الأفكار بوجه خاص؛ يعطينا الصورة التامة عما نعانيه داخل أوطاننا من الهروب من واقع ما حولنا إلى واقع آخر هو الجهل فبما نحن فيه من عدم معرفة المعركة الخاسرة التي نخوضها ضد نهاية التاريخ[1].

إن علاقتنا بالآخر في التصور الذهني لمجتمعاتنا يسوق طريقة تفكيرنا آليا إلى ما كان، **فالتاريخ يتحكم بشكل متسارع جدا في حرب الذهنيات التي تخوضها الدول ضد بعضها، والتي تستهدفنا بشكل غير طبيعي لنفس الأسباب الـــتي تتمثل**

"أنـــا ستعدمني أمـريكـا وأنتـم سـتـعدمكم شعـوبكم"
صدام حسين

[6] - مقال للمؤلف بعنوان: العالم العربي في مهب الريح: شعوب تغلق آذانها عن الحقيقة، صدر في عدة جرائد وطنية وعربية يناير 2019.

في الرصيد التـــاريخي بيننـــا وبين الآخر.

داخل كل إنسان ثائر، فإذا تراكم التاريخ مضافا إلى الذات في صناعة الثورة كانت الثورة ثورة شعب، لأن التراكم التاريخي لا يصنع ثائرا واحدا وإنما يصنع كل من يعاني ذلك التراكم بمعنى أنه يصنع مجتمعا كاملا يتبنى الأفكار نفسها التي يصنعها التاريخ النفسي لذلك المجتمع.

التاريخ التراكمي للمجتمع الجزائري والذي صنع نوعا من التفكير التاريخي[7] المتغير عبر القناعات الذاتية التي يمر بها الفرد والجماعة جعل المجتمع الجزائري يمر بثلاث مراحل من الذهنيات ضمت ثلاثة أجيال كاملة واستمرت هذه الذهنيات إلى اليوم:

- ذهنية المرحلة الاستعمارية والثورية.
- ذهنية مرحلة الانفتاح السياسي والعشرية السوداء .
- ذهنية مرحلة ما بعد الإرهاب.

وللحديث عن هذه الذهنيات الثلاثة وتداخل الأجيال الثلاث فيها نقول:

- أما **ذهنية المرحلة الاستعمارية والثورية:** فهي

[7] - نقصد بالتفكير التاريخي كل الأفكار التي يمر بها العقل الفردي والجماعي عبر مدة ما من التاريخ الذاتي والجماعي أو هو المتغيرات الذهنية التي يمر بها الفرد والجماعة.

الذهنيات التي تبلورت فيها العقلية السلطوية واحتكار الفخر الثوري، وهي ذهنيات المتحكمين في دواليب السلطة منذ عهد الحزب الواحد إلى غاية انتفاضة الشعب الجزائري في حراكه الثوري الذي نعيشه، وتضم هذه المرحلة جميع الشخصيات التي **استغلت الثورة وخلقت ما يسمى بالشرعية الثورية لتحييد غيرهم من أجيال الشعب الجزائري الصاعدة**، وتحمل هذه الذهنية كافة أساليب الحكم في الجزائر والحقيقة وأن هذه الذهنيات هي التي كانت ولم تزل تتحكم في مصير الشعب الجزائري، غير أن هناك اختلافا بين هذه الذهنيات كأفراد وإن كانت تجتمع في طريقة الحكم والتسلط، والخلاف يكمن في حقيقة تطبيق المشروع الثوري النوفمبري ولو في بعض جزئياته، ذلك أن الذهنية التي حكمت البلاد بعد الاستقلال مباشرة إلى فترات متقطعة من تاريخ الجزائر في مرحلة الثمانينيات والتسعينيات كانت ثورية حقا على الأقل من حيث الشعور الجماعي بمعنى الولاء لثورة التحرير، غير أن الذهنية تغيرت من العمل على خدمة البلاد إلى استغلال شعار الثورة والشرعية الثورية للاستيلاء على حريات وحقوق الشعب الجزائري، وهذا ما رأيناه من **انضمام حتى من لا ينتمي إلى جيل الثورة إلى هذه الذهنية استغلالا**

للتراث الوطني وسمعة الثورة وجبهة التحرير ودفاع بعض الشباب المنتمي إلى هؤلاء عن أصحاب المال الفاسد والتسيير اللاعقلاني للدولة بل حتى الدفاع عما يسمى بالعصابة.

- أما عن **ذهنية مرحلة الانفتاح السياسي والعشرية السوداء:** فهي العقلية الجماعية التي تبناها جيل ما بعد الاستقلال والتي تمحورت أفكارها قبيل الانفتاح السياسي في الجزائر في ثمانينيات القرن الماضي وتأسيس أحزاب سياسية حملت إيديولوجيات متنوعة خاضت غمار محاولة التغيير في البلاد، الأمر الذي أفرز ذهنية جماعية حول العمل من أجل تغيير المنهج السياسي وإعادة خلق نظام آخر يسير البلاد ما أسفر عن حالة احتقان غير مسبوقة بعد إلغاء نتائج الانتخابات عام 1991 بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وتضم هذه الذهنية كل من عاش تلك الفترة إلى غاية استتباب الأمن عن طريق الاتفاق الذي جرى بين الشعب والجماعات الإرهابية والذي توسطت فيه المؤسسة العسكرية في عهد الرئيس الأسبق اليمين زروال فيما يسمى بقانون الرحمة والذي واصل تحقيقه الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة فيما يسمى بمشروع الوئام المدني، وتضم هذه الذهنية كل الشعب الجزائري بما فيه الجيش الشعبي

الوطني والجماعات الإرهابية، ما يشكل جيلا كاملا بعد جيل الثورة، واتسمت الذهنية الجماعية للشعب الجزائري في هذه الفترة بالالتفات إلى الحالة الأمنية في البلاد وبالتالي انتفاء الفكر الثوري تماما إذا استثنينا تلك الفكرة التي تقول أن ردة فعل الجبهة الإسلامية للإنقاذ كان ثورة، الأمر الذي لا نتفق معه لسبب واحد هو أن ردة فعل كلا من السلطة والجبهة الإسلامية للإنقاذ كانت **ردة فعل إيديولوجية** بحتة ونظن أن كلا من ردتي الفعل لم تكونا لمصلحة الوطن[8]، ولم تكن أي منها ثورة بالمعنى الذي يقصد منه رضا الشعب بمعنى أن تلك الفترة لم تكن مرحلة ثورة شعبية، فقد كانت تلك المرحلة مرحلة ذهنية إيديولوجية جعلت الشعب الجزائري يعيش ما نسميه **بالانقسام الذهني** للمجتمع، تلك الحالة التي كانت تنبئ بحتمية تاريخية هي مرحلة العشرية السوداء، فأيما شعب برزت على ساحته العامة ذهنيات إيديولوجية فهو مهدد بشكل حتمي بالحرب الأهلية تلك الذهنية التي يسهل تسييرها بأبسط الأساليب من طرف خارجيّ وبالتالي فهي عرضة للتوجيه بكل لاواعي، وهذا ما حدث حينها فعلا، وليس هذا حكرا على

---

[8] ـ تبقى هذه النظرة شخصية ولا نلزم بها أحدا من المخالفين.

المجتمع الجزائري فقط فنحن نشهده في كل البلاد العربية، وقد قلت من قبل: "إن الزمن الذي نعيشه والذي عشناه من قبل يؤكد لنا أن علم **كيمياء العقل**[9] قد وصل إلى مرحلة تخدير الشعوب وقيادتها لا إراديا وبشكل عفوي نظن من خلاله أن العرب يفعلون ما في صالح أعدائهم"[10].

- أما عن **ذهنية مرحلة ما بعد الإرهاب:** فتضم مرحلة الشباب الجزائري وكل من لم تترسخ في ذهنه مرحلة التوتر الأمني، وتضم هذه المرحلة شباب حراك 22 فبراير أو ما أسميه بالثورة الشعبية، تلك الذهنية التي صنعت بثورتها ذهنية جديدة سمحت لكل الأجيال بدخول قطار التغيير الذي أطلقته ضد النظام في الجزائر، ولعل أبرز ما جعل ذهنية هذا الجيل تغير النظرة الجماعية للواقع هو أنها في حين لم تع مرحلة الإرهاب في الجزائر فقد عاشت مرحلة أخرى من تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية في البلاد، وبدأ معها ظهور مصطلح الإرهاب البيروقراطي الذي أصاب مباشرة فئة الشباب التي تمثل غالبية الشعب الجزائري، كما ساهم في بلورة تلك الذهنية شيوع تكنولوجيا الاتصال والتعرف على

---

[9] - يقصد بها الأساليب التي يبتكرها الغرب في سبيل السيطرة على الرأي العام وفعل وردة فعل الشعوب.

[10] - من مقال للمؤلف بعنوان: "سيحدث الكثير والعرب يسيرون نحو الهاوية"، صدر شهر يوليو 2014 في عدة جرائد.

مختلف الأفكار الإنسانية في العالم وتطبيقاتها على أرض الواقع مع سهولة معرفة الأحوال الدولية وأساليب الحكم وقلب نظام الحكم ما خلق ذهنية جديدة حول طبيعة الصراع في الجزائر مع استحضار التاريخ المليء بالتجارب ولاسيما مرحلتي الثورة التحريرية ومرحلة العشرية السوداء مع تجارب الدول الأخرى في محاولات الانتقال الديمقراطي وتغيير أنظمة الحكم ما جعل الشعب يكون فاعلا في الحياة السياسية في البلاد، من خلال إعلان الحراك السلمي لتغيير نظام الحكم.

إذا فهما المراحل الذهنية التي مر بها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال عرفنا أن المجتمع هذا يعيش القانون الكوني للمجتمعات ألا وهو **ظاهرة صراع الأجيال**، خاصة وأن ذهنية الجيل الأول قد سيطرة على السلطة إلى درجة استغلال التاريخ لصالحها، ومن هنا أحدث الجيل الثالث قطيعة تاريخية بين ما يسميه بالعصابة وبين الثورة التحريرية التي تمثل إرثا لكل الجزائريين، وعلى هذا الأساس كان الحراك الشعبي ينادي بإسقاط العصابة (نظام الحكم).

علينا أن نفهم أن الذهنية الثورية والفكر الثوري يعتبر حتمية اجتماعية تختلف مستوياتها من مجتمع لآخر بحسب الظروف التي تؤطر ذلك الفكر وتلك الذهنية، وبالتالي فإن أي مسار تاريخي غير متغير عبر جيلين فقط كفيلة بإشعال الجيل

صراع أجيال وبالتالي فإن عدم تغير المسار التاريخي لذهنيات ثلاثة أجيال في الجزائر أفرز عن حركتين تاريخيتين: حركة الإيديولوجيا في التسعينات والتي كانت حركة خاسرة، وحركة الثورة الشعبية التي نعيشها الآن (2019).

إذا أمعنا النظر في الحراك الشعبي رأينا أن الجيل الحالي يصارع الجيل الأول بعبارة أدق ذهنية الجيل الحالي تصارع ذهنية الجيل الأول ومن هنا رأينا فكرة بناء الجمهورية الثانية أو الجمهورية الجديدة التي تنادي بإبطال فكرة الشرعية الثورية، وكأننا أمام سيطرة الذهنية الشبانية لشباب الحراك على الذهنيات الأخرى ككل بمعنى انضمام الثاني الذي كسر حاجز الخوف بل وحتى الجيل الأول إلى الحراك ضد من يستغلون الإرث الشعبي ويتحكمون في السلطة باسم الثورة.

في نفس الوقت الذي نرى فيه تغير الذهنيات نرى فيه الاختلاف بين الأجيال في حد ذاتها حتى في طريقة التغيير، فالحراك السلمي في الجزائر هو تصحيح لفكرة المقاومة المسلحة التي جرت بعض البلدان العربية إلى الانقسام والحرب الأهلية التي لا تضع أوزارها إلا بسيادة الوعي الجمعي حول مفهوم الوطن والمواطنة خارج الإيديولوجيات المحتقنة والتي تخرج المجتمع من دائرة الوعي الجماعي إلى دائرة الفعل اللاواعي.

صراع الأجيال من أخطر المظاهر السوسيوسياسية التي تنبهت إليها الإدارات الغربية لتواجهها قبل بروزها عن طريق فكرة تشبيب الحكومات وإقحام التفكير المتجدد مكان التفكير الكلاسيكي حول أحادية التسيير واتخاذ القرار، ولكن في الجزائر مع إضافة أخرى هي مخالفة الطريقة التراكم التاريخي الذي عاشه المجتمع من خلال تشبيب السلطة مع مراعاة الكفاءة وانتفاء الفساد.

الظروف السوسيوتاريخية وصناعة الثورة

لا مناص من الفرار مما سيأتي، فالعالم الإنساني خاضع لما سيكون، فالحتمية القهرية للتاريخ هي التاريخ نفسه، ونحن لن نعيش إلا ما سيكون، هذا ما جعل الفلسفات تبحث عن سبل الخروج من الأزمة الحتمية للتاريخ بالسيطرة على ما سيكون انطلاقا من السيطرة عما هو كائن الآن.

هذا هو السر فيما نراه من السياسات الكبرى لأقطاب العالم، وهو نفس ما تنتهجه سياسات العالم الثالث، ففي الدول الكبرى تكون الفكرة أوسع من النظرة الضيقة لدول العالم الثالث، فالمملكة المتحدة البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية واتحاد روسيا العظمى وبعض الدول التي تحاول ممارسة تلك السياسات تسعى إلى تجنب

"إذا ماستشهدنا دافعو على أرواحنا، نحن خلقنا من أجل أن نموت لكي تخلفنا أجيال لاستكمال المسيرة"

الشهيد ديدوش مراد

الأزمات الداخلية بخلق الأزمات خارج الحدود بمعنى **تصدير الأزمة**؛ وبالتالي **صناعة تبعية تامة تكفل لها الأمن من الصدمة التي يمكن أن تصنعها الشعوب الأخرى**، بينما في دول العالم الثالث نرى تلك الفكرة داخل الحدود نفسها؛ فيمارس أصحاب السلطة نفس تلك الطريقة على الشعب نفسه، **حيث لا يطلب الشعب المخنوق من السلطة إلا أن تنقذه وهو بهذا لا يفكر أبدا في القضاء على من وضع الحبل حول عنقه**.

إذا عرفنا هذا تيقنا أنه لا مناص مما سيأتي، ويذكرنا هذا بكلام الثائر إرنيستو تشي جيفارا: "لا نستطيع أن نصبح ما نريد ببقائنا على ما نحن عليه"؛ وتقول الفلسفة ويقول التاريخ أنه علينا أن نتيقن أيضا أنه لا مناص ولا مفر مما مضى، **فالتاريخ يصنع التاريخ** ولا وجود لفاصل قطعي بين ما نسميه بالمراحل التاريخية تجاوزا لا لشيء إلا للتمييز، التاريخ ليس إلا هذا التعاقب للزمن والفعل، وهذا ما يخلق تراكما تاريخيا في الذهنيات أو ما أسميه بـ**التاريخ النفسي**، وهو التراكمات التاريخية داخل النفسية الفردية والجماعية لشعب ما يعيش تاريخه غير المكتوب، ذلك التاريخ الذي لا يقرؤه إلا الضعفاء، إنه كل ما يعيشه الإنسان من أزمات ، باختصار **هو ذلك الشعور بالاختناق، فإذا لم يكن التاريخ الذي سنعيشه إلا نتيجة ما نعيشه الآن والذي بدوره هو ما عشناه بالأمس**

فعلينا أن نعلم إذا أن سلطة الشعوب ستغلب السلطة الضيقة وإن كانت تلك السلطة محاطة بأنواع الحماية، سواء كنا نتحدث عن أقطاب الدول أو عن دول العالم الأخرى باختلاف طفيف، لنجد كلمة أخرى لتشي جيفارا يقول فيها: "لا يزال الأغبياء يتصورون أن الثورة قابلة للهزيمة".

إذا تكلمنا بلغة اجتماعية فإن الواقع التاريخي يثبت أن الجماعات سواء كانت جماعات كبيرة كالأمة أو جماعة صغيرة؛ تسير وفق نفس النواميس وإن كانت الجماعات الكبرى تخضع لتسيير أكثر تقنينا، ولابد من الاعتراف أن الشعوب تعيش مؤامرات وليس هذا تعميما من طرفنا أو إلقاء المسؤولية عنا كشعوب، فالمؤامرة ليست فقط تلك الفكرة التي نحملها عن القوى العظمى كالولايات المتحدة مثلا بل **لابد من العلم أن هناك وجودا لمؤامرات مختلفة المستويات** ، إذ أن المؤامرات الصغيرة التي تصنعها أيادي بني جلدتنا وبلدنا أكثر بكثير من المؤامرات الأخرى؛ وهي تضربنا في الصميم أكثر بكثير من تلك، بل **كل ما يحاك ضد الشعوب من داخلها هو الأساس لفاعلية المؤامرات الأخرى**.

إن حديثنا عن تاريخنا، وعلى الأقل بعد الفاصل التاريخي للجزائر عام 1962 والذي نستطيع القول أنه كان بمثابة صناعة تأريخ آخر رغم أننا نعترف كدارسين لتاريخنا بكل ما يحمله من محمود ومذموم أن **فترة ما بعد الاستقلال قد**

صنعها لزاما ما قبلها، وبالتالي فنحن نرد تلك القدسية التي صبغت بها الثورة الجزائرية مع اعترافنا بأنها من بين أروع الثورات تنظيما وعملا وشعبية، فالواقع التاريخي لمرحلة الرئيس الراحل هواري بومدين مع ما حملته من ازدهار اقتصادي في ظل الأفكار الاشتراكية في فترة كانت فيها البلاد قد خرجت من مرحلة استعمارية، إلا أن الجانب السياسي منها وأقصد به **السياسة الداخلية لتكتلات ما يسمى بحزب جبهة التحرير الوطني هو ما صنع فيما بعد تخلّق الفكر الانفصالي والاستئصالي وتمزق الهوية الوطنية** بظهور دعوى هويات أخرى مخالفة لما ادّعاه النافذون في حزب جبهة التحرير ومكاتب السلطة، فعلى الرغم من تلك التنظيرات الفريدة في سياسة حزب جبهة التحرير إلا أن من ادعوا النضال تحت لوائه لم يعكسوا تلك الأفكار، هذا إذا استثنينا بعض الشخصيات الفريدة أمثال عبد الحميد مهري.

كان الوضع الذي خلق أزمة نفي الشخصيات التاريخية كالرئيس الراحل الشهيد محمد بوضياف والمناضل حسين أيت أحمد وتهميش فكر الفيلسوف مالك بن نبي وإجهاض مشروع نايت بلقاسم وغيرهم رحمهم الله **وليد أزمة التباين بين مرحلة الثورة ومرحلة الاستقلال**.

ما فعله هواري بومدين من صناعة حزب واحد يسيّر البلاد وفق مبادئه وإن كان بالنسبة للكثير يعدّ أكبر خطأ

ارتكبه بومدين وإن كنا بصراحة نخالف هذا الرأي إلا أننا نتفق تماما مع جزئية منه وهي رأي محمد بوضياف حول الحزب والذي كان يصرح بأن **مهمة جبهة التحرير انتهت مع نهاية الاستعمار الفرنسي عام 1962** ، فمن جهتنا كانت فكرة بومدين في جمع الشعب على حزب واحد بتلك الحيلة التي تتمثل في **سرقة التراث التاريخي للثورة بالاستيلاء على تاريخ الشعب كله المتمثل في نضال جبهة التحرير أيام الثورة التحريرية الكبرى هو ما خلق ذلك الفراغ السياسي والكبت النفسي حول مسألة المساهمة والنضال السياسي من أجل البلد**[11]، ولهذا رأينا فكرة جبهة القوى الاشتراكية ونضالها العظيم في **مواجهة السياسة الفردية أو ما يسمى بالدكتاتورية الحزبية**[12] ، فبومدين رحمه الله لم يفكر في مرحلة ما بعد فقدانه للسلطة سواء بموته أو بطريقة أخرى من صناعة الحزب الحاكم نفسه، وقد شعر بومدين نفسه بمغبة

---

[11] - لعل الكثير يخالفنا هذا الرأي غير أننا نظن والله أعلم أن تسيير الدولة في مرحلة ما بعد الثورة عن طريق نظام الحزب الواحد كان صحيحا نسبيا وفي مصلحة البلد غير أن مواصلة ذلك طيلة فترة حكم بومدين أكبر خطأ وقع فيه هواري بومدين رحمه الله كما أن الخطأ الأكبر منه هو تسمية الحزب بجبهة التحرير الذي يعد استغلالا للتاريخ فكلنا يعلم يقينا أن جبهة التحرير التي أنقذت البلاد ليست هي التي حكمت فيما بعد ولاسيما طيلة خمسين اسنة خاصة وأن قانون تأسيس الأحزاب في الجزائر يمنع استغلال مقومات الهوية في تسمية الحزب.

[12] - حديثنا هذا تاريخي وليس انتصارا لتيار معين على حساب الآخر.

هذا من ناحية الضباط الجدد الذين بدؤوا يصنعون لأنفسهم نفوذا داخل السلطة والمعروفين بضباط فرنسا أو جماعة لاكوست.

علينا ألا ننسى أن أزمة الثمانينيات كانت حتمية تاريخية لظهور التاريخ المتراكم في مكبوت الشعب ، فهو نتيجة لازمة لما كان ، والجدير بالذكر **أن الكثير ممن يعيش زمنا ما ويفكر بمنطقه ويبقى في تلك القوقعة الذهنية يتفاجأ بما سيحدث بعد ذلك، ولهذا فهو يتهم كل من بعده بأنه خالف العرف والمنطق متناسيا أن الأعراف والمنطق هو ما تغير وأنه هو نفسه لم يواكب التطور الذهني لشعبه،** بالتالي **فهو من صنع أزمة الشعب وهو من صنع حتمية الثورة عليه**[13].

إن صناعة الأزمة في عصرنا هذا صار نوعا من الفلسفات السياسية للتحكم في الأوضاع وتوجيه الأحداث، ولكنه لا يزال في دول العالم الثالث سياسة حتمية لانعدام المعرفة أو نتيجة لسوء التسيير وكلاهما يصب في الشيء نفسه، فقد شاع في دول العالم الثالث والشعوب المستضعفة أن **صناعة الأزمة الداخلية يساعد على التحكم في الشعب نفسه**

---

13 - لا نريد أن يفهم من كلامنا هذا أننا نؤيد الفعل الإجرامي المتهور الذي نتج عن منطق براجماتية البقاء فلا أحد يملك الحق في استخدام العنف بل إن مجرد استخدام العنف يفقد صاحبه شرعيته حتى كمواطن ينتمي إلى ذلك الشعب.

متناسين طبعا الكبت الجماعي وتغير الذهنيات ليصل هؤلاء المتسلطين في يوم ما إلى الصدمة .

كانت أحداث 1988 في واقع الأمر تنبئ عن تغير الذهنية الجزائرية وظهور جيل آخر يحمل أفكارا مغايرة لما كان عليه من سبقهم ممن كانوا في دواليب السلطة وهو يمثل وصفا دقيقا لما سيكون ويحدث، ولكن النظام لم يشعر بخطورة تغير الذهنيات، ولم يعلم أن تغير الذهنية الجماعية يصنع شكلا جديدا من الحياة ككل ، وهذا ما أجّل صدمة السلطة من تلك السنة إلى عام 1991 عندما أعلن الشعب الجزائري تأييده للإسلاميين وعلى رأسهم الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

في الواقع أننا نزعم **أن الثورة في واقعها هي تغير الذهنية الجماعية للشعوب؛ وليس الفعل التاريخي لها إلا نتيجة لذلك التغير وفقط، وهذا التغير لا يحدث إلا بتراكم الفعل التاريخي في النفسية الجماعية، فالأزمات والواقع بكل ما يحمله يجعل العقل الفردي والجماعي معا يعيد النظر فيما كان وما هو كائن ويجعله يرسم سبلا وأساليب في صناعة ما يكون، وبالتالي فإن التراكم ذلك لا ينتظر إلا القطرة التي تفيض الكأس، لا ينتظر إلا ما يحرك ذلك الشعور، ولا ينتظر إلا المبادرة ليبدأ الثورة بنفسه**، وهذا ما تفطن إليه الشهيد العربي بن مهيدي رحمه الله عندما قال: "إلقوا بالثورة إلى

الشارع سيحتضنها الشعب".

ولعلنا هنا ننوه إلى أمر لم تتنبه إليه السلطات في الوطن العربي عندما انتفضت الشعوب العربية فيما يسمى بالربيع العربي، وهو ما لم تتنبه إليه السلطة الجزائرية في حراك 22 فبراير، ألا وهو قيادة الثورات المعاصرة، فحروب الجيل الخامس لا تعتمد وجوب قائد لحراك ما وإن كانت تعتمد المبادرة من بعض الأشخاص، على عكس ثورات القرن التاسع عشر وما قبله، وبالتالي **ستكون السلطة في مواجهة ثورة لا تسقط بسقوط الرجال لأنها غير مرتبطة بأفراد، فالثورة الحقيقية في القرن الواحد والعشرين مرتبطة بالفكرة**، وهي وإن كانت تحتاج إلى مؤطرين وقد تكون فوضوية بعض الشيء إلا أنها تنتظم بكل سهولة إذا وجدت من يحمل الفكرة، في نفس الوقت الذي لن تتأثر بفقدان من أعطته ولاءها وجعلته قائدا عليها، بل يجدر بنا العلم **أن ثورات القرن هذا هي ثورات إخضاع للسلطة عن طريق فلسفة ماهاتما غاندي المسماة بحرب اللاعنف**[14]، والتي صار الغرب[15] يحاول عن طريقها اختراق الثورات العربية

---

[14] - وهي فلسفة سلمية مستوحاة من بعض التعاليم الدينية الهندية.

[15] - وهو ما ركز عليه بعض الأكاديميين الصرب في الثورة على الدكتاتور سلوبودان ميلوزوفيتش وإسقاط نظامه في صربيا ومن هناك تأسست منظمة أوتبور غيرها لصناعة الثورات السلمية وقد تلقى الكثير

وربما صناعتها.

في الواقع، لا أحد يستطيع الجزم أن الثورات العربية على حكامها كانت تسير بأيادي أجنبية وأنها تخدم أجندات الغرب، بل إن إشاعة هذا هو من باب الحرب النفسية على الشعوب الثائرة نفسها، ولكن الواقع يقول أنه تم اختراق الثورات تلك وتوجيهها من خلال صناعة ساسة شاركوا فيها ولكنهم يخدمون أجندات أجنبية، وسنتحدث عن توجيه الثورات واختراقها قريبا.

يجب أن نعلم أن الثورة، قد تصنع من الخارج عن طريق صناعة الأزمة حيث تكون السلطة المساهم الأول في تلك الأزمة نفسها نتيجة سياساتها السابقة تجاه شعبها الثائر نفسه، فلا تكون الأزمة إلا القطرة التي أفاضت الكأس، وبالتالي **فإن اتهام الحاكم لشعبه في ثورته عليه بأنه يخدم أجندة أجنبية هي تهمة تقع على الحاكم نفسه في الحقيقة لأنه يعين العدو على شعبه بخلق الأزمة التي تقهره**، ولهذا أقول على الدوام: **يصنع الحاكم ثورة شعبه عليه عندما يسلبه حريته.**

وعلينا أن نعلم أن الانتفاضة الشعبية لا تكون إلا بعد

من رؤوس ثورات الربيع العربي مبادئها في صربيا لاستغلال الثورات وركوبها.

انتفاضات صغيرة، إذ لابد للمجتمع من ردة فعل جزئية يقوم بها كل حسب ما يحتاجه أو حسب ما يرى أنه سلب منه، ولكن الحكومات العربية ومن بينها الحكومات الجزائرية التي تعاقبت على السلطة رأت أنها قد **وجدت لنفسها مخرجا من الغضب الاجتماعي عن طريق خلق الأنظمة العسكرية أو الدولة البوليسية أو إثارة الرعب وبالتالي القضاء على المبادرة وصناعة الخوف العام من المجهول، رغم أن الشعوب تعيش فعلا ذلك المجهول وتساهم بأكبر شكل في صناعته لأبنائها،** "فالقوة صنعت العبيد الأولين، والجبن والخوف أدامهم" هكذا قال جون جاك روسو.

ما يهم في هذا أن نعلم أن **الشعب هو من يصنع مستقبله كما صنع حاضره سواء بنهضته بما يكتب به تاريخا مشرفا أو المساهمة بصمته وخضوعه في صناعة معاناته وكتابة تاريخه الذي يحاول كل فرد فيما بعد التنصل منه وتبرئة نفسه منه.**

الثورة الذاتية والثورة الموجهة

قلت في مقال لي بعنوان **"الاستعمار التوجيهي: أكذوبة تحرر الشعوب من الإمبريالية"**[1] : في الواقع، إن الظن بأن الاستعمار الغربي قد انتهى خطأ، **فمادامت الأوضاع السياسية والاقتصادية وعقلية الشعوب بأيدي الإمبريالية الجديدة فلن تنتظر الدول المستعمَرة إلا توجيهها لتغيير الأوضاع وصناعة صراع لا ينتج عنه إلا طلب حماية الاستعمار نفسه**، بالتالي فنحن في مرحلة حرجة من التاريخ بل نحن بين أمرين أحلاهما مر؛ والمشكلة الكبرى أن النتيجة غير معلومة من أصلها، **وهذا هو السر في رؤيتنا لعدة ثورات نهضوية ولــكنها أجهضت أو وضعت في المتــاحف كون الــشعــوب أرادت**

"رصيد الديمقراطية الحقيقي ليس في صناديق الانتخابات فحسب، بل في وعي الناس"
جون جاك روسو

[16] - صدر المقال شهر يناير 2019 في عدة جرائد وطنية وعربية.

فثارت ولكنها في الواقع ثارت ولم تفعل شيئا.

هناك الكثير من المديح لأصحاب النظريات التي تحدث ثورة في مختلف مجالات العلوم، ولكن التاريخ يتناسى تماما أن تلك النظريات ليس لهؤلاء القلة من الناس الذين نعترف لهم بالعبقرية في لملمة تلك المفاهيم وصياغة تلك المعلومات في نظرية واحدة ترتبط بأسمائهم، فإن الكثير من الأشياء موجودة في داخل المجتمعات البسيطة التي لا تدرك ما لديها من ثورات؛ ولكن أشخاصا آخرين يتنبهون إلى ذلك فيسجلهم التاريخ كعباقرة علما أنه ليس لهم من ذلك إلا إخراجهم تلك الثورات وفقط.

هكذا هي ثورات الشعوب من أجل تغيير الأنظمة الحاكمة، غير أن هناك فروقا بين الشعوب؛ فكما يوجد شعب راكد يوجد شعب آخر يسير إلى السد ويوجد شعب غيرهما يسير كالنهر عذبا ممتدا يصنع الحضارة أينما كان، وهناك شعب غير ذلك كله إذ يُسيّر عذبا ورغما عنه ليصب في بحر مالح أجاج.

- أما الأول فهي الشعوب المقهورة التي لا تنتفض.
- وأما الثاني فهو الشعب الذي يثور ليقصمه الحاكم ويشرده ويقضي على ثورته.
- وأما الثالث فهو الشعب الثائر الذي يعي ماضيه

وحاضره ويصنع مستقبله **يمده إحدى يديه بالسلام ويحمل بالأخرى سلاحه** ضد من يستهدف وطنه.

- وأما الرابع فهو الشعب الذي يثور وتسرق ثورته ويزيّف تاريخه ويظن أنه قد صنع المجد، والحقيقة تقول **أن ثورته لم تصنع إلا صورة أخرى من النظام الذي ثار عليه**.

نحن لا نعيش في هذا العالم لوحدنا، نحن في عالم مليء بالبشر مليء بالشر، يوجد الكثير من الخير ومن السلام ولكن حسن الظن بالآخر بعد عن الواقع ولاسيما إذا كان في يوم من الأيام عدوا متربصا يلقي بنا نحو مجهول لا حياة فيه، خاصة وأننا في عصر إذا تحرك شخص ما في بلد آخر أثار زوبعة في بلدنا، وإذا تحرك شخص في بلدنا أعلن هو حالة الطوارئ في بلده، فإذا كان الحراك حراك شعب بأكمله فعلينا أن نتيقن أن الدول الأخرى ترتعد خوفا على الكثير من الأشياء التي لا نعي خطورتها، ولهذا فإن أجهزة المخابرات في الكثير من الدول تتحرك على جناح السرعة لسرقة ثورات الشعوب وتوجيهها في الطريق الذي يضمن لها الوصول إلى ما يريد لا ما تريده الثورة ويريد الشعب الثائر.

علينا أن نعلم يقينا أن الثورة تندلع بطريقتين اثنتين هما:

- **أن تثور الشعوب من ذاتها بذاتها ضد الاستبداد والاحتلال.**
- **أن تُدفع الشعوب إلى الثورة لتخرج بغير وعي منها.**

وهذا ما يمثل **الثورة الذاتية والثورة الموجهة**.

فأما أن تثور الشعوب من ذاتها فهذا ما على الشعوب أن تفعله ضد الاستبداد والاحتلال والإمبريالية الجديدة، وهي الثورات التي تزعزع هرم الحكومة العالمية من أساسها، **فإذا ما كانت الثورات واسعة النطاق وحدث ما يشبه الوعي الدولي للشعوب بالثورة ضد النظام العالمي فهو إيذان بحتمية صناعة الدول الكبرى لحرب عالمية تحاول أن تستنقذ عن طريقها سلطتها على الدول ولو على حساب شعوبها هي نفسها**.

يجدر بنا أن نعي أن الحروب بين الدول الكبرى هي حروب ردع، وأما حروب الدول الكبرى مع الدول المستضعفة هي حروب وعي بالدرجة الأولى، ولهذا عملت الإمبريالية الغربية على تغييب الشعوب عن فكرها وثقافتها وهويتها وحقيقة حضارتها، فإن لم تستطع السيطرة على الذهنية الجماعية لشعب ما ورأت أن تلك الدولة تسير نحو مرحلة من الوعي الجماعي بالحقيقة أعلنت الحرب المسلحة

ضدها بأي حجة تستطيع من خلالها التدخل العسكري لتدمير الوعي الجماعي بالقضية وتغيير المسار التفكيري من مشروع صناعة الحضارة إلى محاولة استنقاذ ذلك الشعب لنفسه من مهلكة الجوع والحروب الأهلية والتفكك الجغرافي لتراب الدولة.

خلال مرحلة ما بعد الكولونيالية لم تتغير الفكرة الجامعة للدول الكبرى حول فكرة السيطرة على الدول المستعمَرة غير أن فكرة الاستعمار الكلاسيكي للشعوب والمتمثل في الاحتلال المباشر قد تغيرت نحو استراتيجية جديدة للاستعمار أو ما أسميه **بالاستعمار التوجيهي،** من خلال إيجاد أسلوب جديدة لمرحلة الكولونيالية الجديدة عن طريق التحكم في مصائر الدول والسيطرة السياسية والاقتصادية والتحكم في صناعة القرار وبالتالي فنحن لا نعيش مرحلة استقلال كامل، وهذا هو السر في خشية الدول الاستعمارية من ثورة الشعوب ضد أنظمتها الحاكمة، بعبارة أخرى **الخشية من استبعاد عملائها في دول العالم الثالث** وبالتالي فقدان السيطرة على الأوضاع وخسارة مصالحها ومصادر اقتصادها، وبالتالي **فنحن في عصرنا هذا نعيش ما هو أصعب من الاستعمار المسلح لسبب وحيد هو أننا خلال المرحلة الكولونيالية كنا ندري تماما وبكل ثقة من هو العدو، وأما اليوم فنحن نقف أمام الكثير من الأعداء الذين تجذرت مصالحهم بما يُنتَهب**

في بلداننا، وهكذا سنكون مع أبسط حراك لنا أمام الكثير من المخططات الغربية والمؤامرات المشتركة، وهذا ما أشار إليه فرانز فانون حين قال: "التحرر الحقيقي ليس بالثورة فقط بل في التحرر من إرث المستعمر".

أمام الثورة المسلحة ينتهج العدو **سياسة تشويه الثورة** من جهة، **وسياسة كسرها** من جهة أخرى، إلا أن تكون الثورة ضد عدو ما ويكون الموجه بلدا آخر، كالذي حدث من دعم الولايات المتحدة الأمريكية لحركات التحرر والانفصال عن الاتحاد السوفياتي، وأما في الثورات السلمية فينتهج العدو **سياسة التوجيه** أولا، فإن كانت المقاومة شرسة بتأصيل الوعي الجماعي من خلال فضح المخططات الغربية لتوجيه الثورة بدأ بانتهاج **أسلوب كسر الثورة عن طريق فرض منطق الحرب الأهلية أو الحرب الجوارية**[17]، ويكون العمل على الثورة الموجهة بأربعة أساليب هي:

- **السيناريوهات المموهة:** من خلال تتويه الشعوب عن حقيقة الهدف من خلال صناعة سيناريوهات ظاهرها الانتصار وحقيقتها الهزيمة وأغلب النتائج في هذا الأسلوب هو صناعة زعيم للثورة يتقلد زمام الحكم بعد نجاح الثورة المزعوم، وبالتالي الحفاظ على المصالح وضمان التحكم في دواليب

[17] ـ نقصد بها إشعال الحرب بين البلد الثائر وبين بلد يجاوره.

السلطة.

- **المساعدة المباشرة والعلنية للثورة من طرف الخارج نفسه:** وهو أسلوب منتهج في حالة الثورة على نظام حكم بدأ يهدد مصالح دول أخرى تهديدا مباشرا من خلال خلق سياسات نهضوية قد لا يتنبه إليها الشعب نفسه، وتعد الثورة هنا ثورة عن غير وعي عن طريق استغلال الأزمة الاقتصادية التي يصنعها الغرب نفسه فيما يسمى **بعقيدة الصدمة،** يقول جيفارا: "الثورة يصنعها الشرفاء، ويرثها ويستغلها الأوغاد".
- **الإعلام الكاذب ونشر الإشاعة:** وهو أسلوب ينتهج في حالتين هما **استغلال النظام الحاكم نفسه للإشاعة من أجل التوجيه أو الكسر، واستغلال الغرب للإشاعة من أجل التوجيه لا الكسر،** ويتم استغلال السلطة الرابعة ومواقع التواصل عن طريق التواطؤ ويكون الهدف من ذلك صناعة شخصيات عميلة تستغل الثورة أو صناعة أزمة داخلية تسوق إلى الحرب الأهلية أو التدخل المباشر، قال عبد الوهاب البياتي: "ثورات الفقراء يسرقها في كل الأزمان لصوص الثورات".
- **المال الفاسد:** وهو من أكثر الأساليب التي تنتهجها الإمبريالية في استعمارها الجديد من خلال

طريقتين هما **إشعال الثورة ودعمها** أو **استغلال ثورة ما وتوجيهها عن طريق المال،** كما قال هوشي منه: "إذا أردت إن تفسد ثورة ما فأغدق عليها بالمال"، كما أن هذا الأسلوب قد يكون متداخلا مع الأول من خلال الدعم المباشر من طرف المستعمر كما حدث مع مظاهرات اليونان خلال أزمتها الاقتصادية في إبريل 2010 ودعم الاتحاد الأوربي لها خوفا من اتساع نطاق الوعي الثوري ليشمل أوربا، أو من خلال ما تفعله أنظمة الحكم من شراء ذمم قادة الثورات لتوجيه الثورة أو شراء بعض وسائل الإعلام التي يثق فيها الشعب أو تقديم بعض الإصلاحات التي تهدئ بها الثوار وتكبح جماح الثورة.

وما يجدر التنويه إليه هو **أن توجيه الثورة يستهدف مباشرة الوعي الشعبي؛** عن طريق **إعادة صياغة هذا الوعي في الصورة التي يريدها المستبد أو المستعمر** في نفس الوقت الذي يبقى فيه الشعب ثائرا بشكل مؤقت مخطط له، ولكن بعد النظر الشعبي والالتزام بالوعي الثوري والوعي بالقضية والبحث عن حقائق الأشياء وفضح المؤامرات ضد الثورة هو ما يفشل مخطط توجيهها ويبقيها ثورة ذاتية شعبية ذات مبادئ وأهداف لا تتغير بتغير الأشخاص والظروف.

ما يعول عليه الثوار في أي فترة من تاريخ الثورات هو الوعي **بما كان والوعي بما هو كائن والوعي بما يكون** من أجل الحفاظ على أصالة الثورة وعدم اختراقها من الأطراف الثلاثة الذين ذكرناهم من قبل:

- النظام الحاكم.
- الدول الأجنبية.
- من يريد استغلال الثورة.

وهذا بالذات ما كنت أعنيه قبل خمس سنوات حين قلت: **"نحن من نصنع الحكام، ونحن من يقرر ذهنياتهم وعقلياتهم في معاملتنا ووجهة نظرهم إلينا كشعوب**، وهنا يتضح **أننا في حاجة إلى ثورة فكرية عارمة للبحث عما يجب أن يكون انطلاقا مما كان"**، وعلى هذا كان من واجبنا التنبيه قبل حراك 22 فبراير بشهر من أنه **يجب التخلص من الإرث الاستعماري، وأنه لا بد من إحداث قطيعة تاريخية وذهنية عن كل ما يربطنا بالخارج من أجل النهوض بما هو مأصول في ذواتنا كجزائريين أولا وكعرب ثانيا**، ولعلي أقتبس هنا بعضا مما كتبته سابقا عن التوجيه: "يضم الاستعمار التوجيهي كل يحدث اليوم من مظاهر السيطرة الأوروأمريكية على الشعوب، ولكننا لا نعرف من ذلك إلى ما يسمى بالغزو الثقافي، في حين تغافل الكل عن الكثير من **مظاهر الاستعمار اللامباشر والمباشر من خلال خلق سياسة التغريب ولا نقصد**

هنا المفهوم المعروف من التغريب بل نقصد به صناعة حتمية اجتماعية للدول المستعمَرة تجعلها تشعر بعدم الانتماء إلى هذا العالم ومن هنا بدأ خلق العالمين المتقدم والمتخلف في حين رسمت **دول مستعمَرة عالما للدول النامية بالتالي صناعة تمييز طبقي عالمي يفصل بين التابع والمتبوع**، فالدول[18] المغرّبة لا تجد في خضم كل الظروف التي تعيشها شعوبها إلا طريقين:

- الأول: أن تنقذ شعوبها بالسير على خط الغرب.
- الثاني: أن تنقذ نفسها من ثورات شعوبها فتتمسح بالغرب أيضا.

وفي كل الحالات **ستظل الشعوب في حالة تبعية تامة لسلطة الامبريالية الجديدة، وسرعان ما تذوب تلك الشعوب في عالم لا تعيشه.**

ومن الجدير بالذكر أن الفكرة الكولونيالية/ الامبريالية الجديدة هي **السيطرة بالقرارات أولا وبصناعة الأزمات ثانيا"**[19].

علينا أن نعي أن فقداننا لحريتنا بفعل الاستبداد يكمن خلفه

---

[18] - نقصد بها أنظمة الحكم في الوطن العربي خصوصا.

[19] - مقال للمؤلف بعنوان "الاستعمار التوجيهي" نشر بتاريخ: 10 جانفي 2019 بعدة جرائد ومواقع وطنية وعربية.

فقدان المستبد لحريته من خلال تحكّم طرف ثالث في إرادته فنحن كما قيل: "أحرار بمقدار ما يكون غيرنا أحرارا".

ما يجب فهمه هو **أن أنظمة الحكم بعد الفترة الاستعمارية قد سارت في نفس خطة فرض الوصاية بل وأكثر من ذلك فأنظمة العالم الثالث في غالبها إن لم نقل كلها قد سارت في طريق الوساطة السلطوية بين المستعمِر والمستعمَر**، بمعنى أن الشعوب كانت مستعمرة إلى درجة أنها لم تكن لتستطيع أن تفعل شيئا خارج **دائرة الرضا الاستعماري على ما تفعله**، ومن هنا كانت الخطر في كل الثورات التي قامت في العالم على مختلف أنواعها سواء كانت سياسية أو فكرية أو اقتصادية، ولعلنا نرى بوضوح فكرة **صناعة الأزمات أو ما يسمى بعقيدة الصدمة الاقتصادية لكسر الأنظمة العادلة بإثارة شعوبها ضدها أو كسر ثورات الشعوب المنتفضة ضد أنظمتها الفاسدة**، بل وأضيف إلى ذلك عقيدة الصدمة التي استخدمت الإرهاب بخلق تنظيمات إجرامية داخل الوطن العربي ككل من أجل كبح الشعوب عن الثورة ضد الأنظمة الفاسدة والمستبدة، كل ذلك **من أجل توجيه التفكير و الوعي الجماعي للشعوب وتحييده عن الوعي النهضوي والثورة الذاتية إلى الثورة من أجل خدمة المستعمر أو كسر الثورة التي تهدد المستعمر القديم.**

فلنتذكر ذلك المقطع من بيان ثوار الفاتح من نوفمبر: **"ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون و بعض محترفي السياسة الانتهازية"**، لهذا فإن **من واجب الثورة أن تحمي شعوبها ومن واجب الشعوب حماية ثوراتهم**، قال نابوليون بونابرت: "في الثورة نوعان من الناس، من يقومون بالثورة و من يستفيدون منها"، **فالثورة عندما تندلع والشعوب عندما تنتفض فهي لن تعود إلى مرحلة الصمت إلا بالوصول إلى الهدف، سواء كان هدفَها الأصيل أو الهدف الذي وُجّهتْ إليه**، وعلى هذا **فما دامت الثورة مستمرة فمن الواجب الوقوف للوصل إلى أصالة الهدف والاحتراز من التوجيه**، فلا فرق بين عقل الحاكم والمحكوم، الفرق الوحيد في الوسائل، ووسيلة خلاص المستبد هو العنف الذي يُفقده شرعيته كحاكم بينما وسيلة الشعوب هو الاتحاد من أجل الوصول إلى وطن يحفظ له: الحرية والعدل والمساواة، لذا **فعلى الحكام أن يعلموا أن الشعوب أعرف بنظريات الثورة منهم بنظريات تدارك الوضع الثوري**.

الثورة الشعبية وثورة الأشخاص

لطالما انقسمت الفلسفة بين فلسفة أفراد وفلسفة مجتمع بأكمله، وفلسفة الثورة فلسفة شعوب، "**الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية**"[1].

علينا بدءا أن نعلم أن الثورتين الشعبية وثورة الأفراد تشتركان في كونهما ثورة مبادئ وأنها **ثورة فكرة لا ثورة المطالبة بحقوق محدودة بل قد تنفي الذات وتطالب بهدف الجماهير وهي الثورة المقدسة التي تكتب التاريخ بأيادي البسطاء**.

ولكن علينا أيضا أن نعلم أن فلسفة الثورة تكمن في سرّ الجماعة لا في الأفراد وإن كانت الجماعة في أصلها أفرادا، وإذا نظرنا في واقع

"لكل النـــاس وطـن يعيشون فيه، إلا نحن فلنـا وطـن يعيش فينـا"

تشي جيفارا

[20] - من بيان الفاتح من نوفمبر 1954.

الثورة التحريرية الكبرى فإن **فلسفة الثوار الجزائريين كمنت في إلقاء الثورة في أحضان الشعب** فاحتضنها الشعب الجزائري ككل وإن كانت بدأت بالشخصيات الكبرى التي قادت الثورة التحريرية ضد المحتل الفرنسي، وعلينا هنا أن نفهم جيدا أن تلك الثورة التي تعتبر كأكثر الثورات تنظيما وإلهاما في التاريخ المعاصر لم تكن لتنجح لولا تبني المجتمع ككل لمبادئها وأهدافها، تلك المبادئ التي كانت تعبر عن كيان الشعب ككل، وتلك الأهداف التي كانت تمثل حلما للجميع.

إذا تكلمنا هنا عن الثورات بكل أنواعها سواء كانت مسلحة أو تغييرية أو فكرية أو نهضوية أو غير ذلك فعلينا أن نعلم أن **نجاح الثورات لا يكون إلا بتبني المجتمع ككل**، فإذا كانت لا تمثل إلا أفرادا أو فئات معينة فإنها ستنتهي في مهدها إلا أن يتم في لحظة ما شيوع الفكرة تلك لتقع على واقع يعيشه المجتمع ككل فيتم تبني الشعب لها فتستنقذ من بين يدي الفناء، والتاريخ يشهد على الكثير من الثورات تلك، وعلى الكثير من الأفكار التي تبنتها الشعوب، والأخرى التي لم تحي إلا بعد أن احتضنتها المجتمعات بعد موت أصحابها وفناء الداعين إليها.

الجدير بنا أن نعلم أن **داخل كل إنسان ثائر، والثورة ليست إلا تعبيرا عن إنسانية الإنسان في ذاته، فلا وجود لثورة تناقض الشعور الإنساني بالحرية والذاتية والصدق والاتحاد، لا وجود لثورة ضد العدل والنزاهة، فالثورة تعبير**

عن رفض الشذوذ عن الإنسانية، والثورة هي ذلك الفعل ضد الاستبداد ومحاولة نفي الآخر، فالمجتمع لا يثور إلا ضد من يسلبه ما يشعره بكيانه، والفرد باعتباره فاعلا داخل ذلك المجتمع لا يثور إلا ضد ما يكبح انتماءه ويشعره بالغربة داخل وطنه، باختصار **لا تكون الثورة إلا ضد من يسلبه ما يمتلك،** ولعلنا نفهم هنا ذلك السر الذي سرقه روسو من عمر ابن الخطاب في تنظيره للثورة الفرنسية التي قامت بعده حيث كان يرى أن الفرنسي أصبح عبدا في نظام المجتمع والحكم الفرنسي بعد أن سُلب حريته التي ولدت معه.

وإذا أردنا الحديث عن **ثورة الأشخاص والثورة الشعبية** فعلينا أن نبحث أولا عن منبع الثورة، إذ الثورة ولاسيما الثورات الاجتماعية والسياسية ليست فعلا، وإنما **هي ردة فعل،** وردة الفعل لا تكون إلا بفعل سابق من طرف من يثور الناس ضده، ومن هنا **فلا يحق لمن ثار شعبه عليه أن يلوم الثوار فيما يطالبونه به، إذ الفاعل في أصله هو نفسه،** ولاسيما إذا تحدثنا عن الثورات الشعبية، والتي تصنع نوعا من الصدمة للسلطة الحاكمة إذا كانت دولة مستقلة، بينما هي نتيجة حتمية متوقعة بالنسبة للمحتل، وهي ليست كالثورات الفردية في قوتها وقوة صدمتها للسلطة.

قلنا من قبل أن **الثورة وليدة أزمة،** وهذا أمر جلي في الثورات المسلحة كثورة الفاتح من نوفمبر 1954 ضد

الاحتلال الفرنسي والثورات السلمية كثورة 22 فبراير 2019 ضد النظام الحاكم في الجزائر أو ضد ما يسمى بالجمهورية الأولى التي تبنت الشرعية الثورية لأكثر من خمسة عقود من الزمن أي منذ 1962، حيث كانت الأزمة قبل 1962 هي الاحتلال، بينما **صارت الأزمة بعد ذلك هي دكتاتورية الفعل التاريخي** أو دكتاتورية استغلال الكفاح الثوري لإعطاء شرعية للحاكم هي الشرعية الثورية، وحتى وإن كانت هذه الشرعية حتمية خلال عقود من الزمن كون الشعب الجزائري كله كان خارجا من مرحلة ثورة؛ إلا أنه حتى هذه الشرعية قد سُرقت فيما بعد فصارت مجرد ادعاء، وهنا بدأ المجتمع ككل يرى هذا أن الادعاء هو أزمة، ورغم كل ذلك لم يظهر كأزمة حقيقية إلا بعد أن أتت أجيال لم تعش الثورة ورأت لنفسها حقا في اختيار الحاكم ونظام الحكم وشخصياته سواء كانت ثورية أم لا، ثم احتدم الوضع إلى أن صرنا اليوم نرى مطلب إلغاء الشرعية الثورية تماما ولو بإلغاء شخصيات ثورية لا بإلغائها كرفض ولكن إلغاؤها بكونها تناقض مطلب الشعب المتمثل في اعتلاء الشباب سدة الحكم في الجزائر لتأسيس جمهورية ثانية ذات شرعية دستورية.

من واجبنا هنا أن ننوه إلى أكبر ما قد يعترض نجاح الثورة الشعبية ويكون ذلك بتسلط الأشخاص عليها، وعلينا هنا أن نفهم أن هناك من الشخصيات من يستغل الجماعة

ليظهر المناضل بينهم، ومنهم من تصنعه الظروف فينصبه الشعب قائدا على الثورة، **وتتحول الثورة هنا من ثورة شعبية تستمر بالفكرة إلى ثورة تنتهي بنهاية قادتها**.

- **أما عن الأولى:** أن يستغل الشخص أو مجموعة من الأشخاص ثورة شعب ما ليظهروا على أنهم مناضلون؛ وبالتالي سهولة ركوب الثورة وسهولة قيادتها لاسيما إذا كانوا أصحاب كاريزما تلفت الانتباه فهذا أمر وارد جدا أكثر من الثاني، وهو ما سنراه خلال انتفاضة الشعب الجزائري، بل وفي هذه اللحظة[21] نراه بوضوح من خلال تبني بعض الهيئات والشخصيات والناشطين للثورة ، وبعض الأحزاب المجهرية المعارضة التي تريد ركوب الثورة من خلال تأسيس ائتلاف من أجل التغيير بعد الفشل الذريع لأحزاب المعارضة الكبرى في الجزائر والتي ليس لها من المعارضة إلا الاسم، وبعض الشخصيات المعارضة التي سكتت عن الحق ورفضها الحراك الشعبي، وليس هذا جديدا على الشعب الجزائري، فتاريخ الثورة التحريرية يؤكد ركوب بعض الشخصيات لسفينة الدولة المستقلة بعد الثورة كجماعة لاكوست أو ما يسمى ضباط فرنسا

---

[21] - مارس 2019.

الذي تدربوا في المدارس العسكرية الفرنسية ثم انظموا إلى الثورة التحريرية الكبرى في أواخرها، وتولوا مناصب حساسة فيما بعد ورأينا قرارات مصيرية بأيديهم خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، ولهذا رأينا الشعب يرفض تماما تمثيل الحراك الشعبي من طرف من له تاريخ مع النظام الجزائري من قريب أو من بعيد.

والجدير بالذكر أن البعض يحاول صناعة تاريخ ثوري جديد من خلال بعض المقترحات التي يطرحها على مواقع التواصل الاجتماعي والتحريض على مواصلة المسيرات السلمية لأنه يعلم يقينا أن الحراك متواصل، ولكن شيوع فكرة أن فلانا هو من يوجه الفعل الشعبي يعطي مصداقية له بقيادة الحراك، وليس ذلك إلا حيلة لركوب موجة الثورة علما أن الشعب رافض تماما لأي كلام كهذا من داخل الجزائر وخارجها، ولاسيما الطرف الثاني الذي يتكلم باسم الشعب من خارج الوطن، قال جوزيف ستالين: "لا يمكنك إشعال ثورة بقفازات من الحرير"، وفي كلام علي شريعتي ما هو أكثر صدقا من ذلك: "واقع كل ثورة بعد سقوط الدكتاتور، يذهب الثائر إلى الراحة فيخلد إلى النوم، ويستيقظ المتخاذل من نومه بكل نشاطه ليستلم السلطة".

وهذا ما يقال أن الشهيد العربي بن مهيدي قد تنبه إليه خلال الثورة التحريرية في رؤيته الاستشرافية لمرحلة الاستقلال فقال رحمه الله: **"أريد أن أعذّب حتى أتأكد أن جسدي البائس لن يخونني، أريد أن تتحقق رغبتي، فعندما نتحرر من الاستعمار ستحدث أشياء فظيعة، سننسى معاناة شعبنا لنتنافس على الكراسي، سيكون هناك صراع من أجل السلطة، نحن هنا في حرب التحرير والبعض في تونس يفكرون فيما بعد الحرب"**.

- **وأما عن الثانية:** حيث تصنع الظروف أشخاصا يزكيهم الشعب لقيادته، فأغلب ما يكون هذا في الثورة المسلحة لحادث ما قد يحدث فجأة لشخص ما فيظهر في صورة المناضل الذي ينشده الشعب كله فينصبه الشعب لقيادته، ونفس الأمر قد يكون بالنسبة للثورات السلمية إلا أن الفرق هنا يكون في مستوى النضال فالفرق بين الثورتين كبير، فكثير من قيادات من الثورات المسلحة كانوا هاربين من العدو ولم يكونوا ثوريين بالأصل بل قد يكون انضمامهم إلى الثورة لقضية يعاقب عليها العدو كقتل أحد الأتباع فيظهر ذلك في صورة المنتمي إلى الثورة فيقبله الثوار بسرعة إلى درجة الثقة العمياء فيه علما أنه قد لا يقتنع بالمبادئ الثورية التي يحملها مع معه أصلا،

وأغلب الثوار قديما لاسيما في الحروب الكلاسيكية محكوم عليهم بالإعدام قبل أن ينضم إلى الثورة وأغلبهم قتلة وخارجون ليس على القانون فحسب بل حتى على أعراف المجتمع الذي ينتمون إليه وهذا ما حدث في العشرية السوداء بالجزائر وهو نفس قصص الكثيرين ممن انضم إلى الجماعات الإرهابية في العالم ككل كتنظيم القاعدة وتنظيم الدولة المنسوبة إلى الإسلام في العراق والشام المسماة بداعش وهي إستراتيجية جديدة لكبريات الدول في توسيع نطاق الجماعات الإرهابية من جهة والتخلص من الخارجين عن القانون من جهة وخدمة هؤلاء المنبوذين لهم بطريقة غير علنية من جهة ثالثة، وإذا تحدثنا عن الثورات المعروفة لا عن الجماعات فإن التاريخ يشهد بأن هؤلاء القادة المزيفين قد انقلبوا على مبادئ ثوراتهم بعد استتباب الأمن وامتلاك السلطة، ولعل هذا يمثل جزءا من حقيقة نابوليون الذي نسف مبادئ الثورة الفرنسية ونصب نفسه إمبراطورا على الشعب في نفس الوقت الذي لم يستطع فيه محو الثورة كونها هي من صنعت له شرعيته، ونفس الشيء حدث في الاتحاد السوفياتي بعد فلاديمير لينين حيث حدث نوع من الانقلاب على المبادئ الماركسية بسيطرة البزجوازية على مقاليد

التحكم في رقاب الشعوب السوفياتية بعد أن ساهموا في الثورة البلشفية، وهذا ما أنتج ظهور عدة مدارس ماركسية تنظيرية، الأمر الذي تنبه إليه الزعيم الصيني ماوتسي تونغ ورسم لشعبه مدرسة ماركسية لينينية جديدة تتبنى المبادئ الأصيلة للشيوعية إلى درجة أنها عرفت بالشيوعية الصينية، وكذلك جرى نفس الأمر خلال مرحلة ما بعد الثورة الجزائرية من خلال نسف مبادئ أول نوفمبر وإن كانت السلطة تنادي بتطبيقها له وهذا لا يخفى على من له دراية بطبيعة الحكم في الجزائر، ولهذا ظل مؤتمر الصومام يمثل إشكالية في البلاد حتى بعد الاستقلال الجزائري من خلال الاعتراف بقادة الثورة، لولا أن الأمر تم حسمه نوعا ما خلال الثورة بالتصفيات الجسدية للنخب الثورية، ولكن الحقيقة تقول أنه تم نسف مبادئ بيان أول نوفمبر حول الدولة الموعودة بعد التحرر من المحتل الفرنسي، فبدأت السلطة لاسيما في السنوات الأخيرة من حياة الرئيس الراحل هواري بومدين تجتذب من طرف بعض من شاركوا في الثورة في نفس الوقت الذي استبعدت الكثير من الشخصيات الثورية الكبيرة؛ بل وطال بعضها الاغتيال وبعضها النفي خارج البلاد، وهذا ما يحدث دائما بعد الثورة إذا لم يتنبه الشعب إلى من يوليه

السلطة، ولهذا فنحن نحذر من تكرار نفس تلك التجارب ونحذر من صعود البرجوازية السياسية إن صح التعبير إلى مراكز السلطة، لاسيما إذا امتزجت السياسة بالمال وخصوصا المال الفاسد، فإذا حدث أن وقع هذا فسيشهد التاريخ على إخفاق الثورة السلمية للتغيير في الجزائر، "فالذي لا يعرف التاريخ محكوم عليه بتكراره" كما قال الثائر كارل ماركس.

إضافة إلى ما قلناه، فنحن نحذر بشكل أكبر من محاولات استعادة بعض الشخصيات القيادية في الجيش السيطرة على السلطة بنفس درجة السيطرة إبان التسعينيات من القرن الماضي، ذلك أنه علينا أن نعترف بأن الجزائر لم تسر في خط الدولة المدنية بشكل كامل، رغم ما نراه من صورة مدنية للحكم في الجزائر، غير أن ما يمكن أن يعمل عليه المتسلطون في الجيش هو صناعة نفس سيناريو تحكم الشخصيتين الغامضتين في العشرين سنة الأخيرة ونقصد بهما رئيس جهاز الأمن والاستعلامات (المخابرات) اللواء المتقاعد محمد مدين (الجنرال توفيق)، وسعيد بوتفليقة مستشار وشقيق الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ومن الممكن جدا أن تتكرر نفس صورة السيطرة من وراء الكواليس من طرف الجيش بعبارة أخرى هناك احتمال كبير يجب الحذر منه هو سرقة الثورة لتكون ثورة جنرالات، وهو استنساخ لما حدث في مصر من

وصول عبد الفتاح السيسي إلى منصب رئيس الجمهورية، وبالتالي فالشعب الجزائري بمختلف أطيافه سيكون في صراع قوي من أجل تأسيس الدولة المدنية التي تمثل الصورة الوحيدة للجمهورية الثانية التي ستخرج من إطار الشرعية الثورية إلى إطار الشرعية الدستورية التي ستكفل بدورها للشعب ككل الحرية والعدل والمساواة باعتبار المواطنة لا باعتبار نهب حقوق الآخرين باسم الشرعية الثورية، وكرسالة من الشعب إلى السلطة مقولة جيفارا: "قد أفشل، ولكن لا يمكنني أن أكرر نفس الفشل مرتين".

دعونا هنا نتحدث عن العلاقة بين ثورة الأشخاص والنخبة الجزائرية في الواقع الراهن في البلاد، سبق أن قلنا أن ثورة الأشخاص تختلف تماما عن الثورة الشعبية وإن كان للنخبة دور الإعلان عن تطلعات الشعوب، ولكن علينا أن نعترف أن الثورة السلمية في الجزائر هي ثورة شعبية بكل مقاييس الثورة، وليست ثورة أشخاص، حيث لا تعتبر النخبة إلا مجرد مواطنين لا رأي لهم إلا الرأي العام فإذا انزاح خطاب النخبة من الرأي العام إلى إثبات شيء آخر لم يقله الشعب ولو كان هدفا نبيلا فاعلم أن تلك النخبة تريد سرقة الثورة وركوبها، لنسفها مبادئ الثورة وإن لم تنفها، وهو نفس ما حدث من طرف نابوليون بالثورة الفرنسية.

ما يجب أن نعلمه هو أن **الخطاب سيتغير** إذا ما سمح

الشعب لبعض من يرى في نفسه فرقا بينه وبين عامة الناس **من مبادئ الثورة إلى مبادئ الشخص** بل **قد يصل إلى نفي الشعب وإلغاء التفكير العام أو توجيهه بخطاب شخصاني لركوب الثورة وصناعة المصلحة الشخصية سواء بتولي السلطة أو بالظهور كقادة للحراك الثوري** وبالتالي محو التاريخ الشعبي العام حيث لا يرى من الجدار الصلب الذي يمثل الشعب إلا تلك الصبغة المزيفة التي تمثل النخبة.

ما يجب معرفته أن الحراك الشعبي اليوم في الجزائر أحدث قطيعة تامة مع النخبة كنخبة لا كمواطنين فيما ألغى كل من له تاريخ مع النظام القائم من خلال جماعية عدم الثقة الذي نتج عن تاريخ السلطة في البلاد وعلاقتها بالشعب، بالتالي نفى الشعب أن يتحدث أحد من هؤلاء باسمه، ببساطة لأن **النخبة ساهمت في صناعة هذا الواقع، فهم يحتلون المركز الثاني بعد السلطة في صناعة الواقع المتدهور**، ولعل هذا يذكرنا بكلام جون بول سارتر حيث قال: "أينما حل الظلم فنحن مسئولون عنه"؛ بالتالي فالأفضل للنخبة الجزائرية اليوم هو الاعتراف بالخطأ لا بركوب الواقع ، فجهل النخبة اليوم يتمثل في صناعة تلك الهالة على أنفسهم من خلال **المقارنة الكاذبة بين الذات والآخر** هذا إذا لم تكن النخبة قد ألغت المجتمع لظنها أن ثقافتهم كنخبة أعلى مستوى من الثقافة العامة **وهذه مقارنة لا تصح على شباب القرن الواحد**

والعشرين والذي يمارس حروب الجيل الخامس إلى درجة توريط النخبة أنفسهم في حربهم بحيث يتم نسف النخبة بأكملها، لذا فعلى النخب الجزائرية ألا تفكر بمنطق الستينيات من القرن الماضي وللأسف فهي لا تفكر إلا بهذا المنطق.

هنا علينا أن نعرف موقع النخبة من الحراك الشعبي والثورة الشعبية، على النخبة ألا تصنع لنفسها وهما زائفا حول ركوب الحراك الشعبي، فلا وجود لثورة أشخاص في الجزائر، فالمثقفون "هم أكثر الناس قدرة على الخيانة، لأنهم أكثرهم قدرة على تبريرها" كما يقول فلاديمير لينين، لذا فعلينا أن نحذر النخبة من مغبة ذلك وأن **ننبه الشعب الذي يمثل السيادة في ثورته أن ركوب شخصيات مؤثرة للحراك الشعبي سيؤدي إلا انقسام الثورة ومنه إلى انقسام الشعب نفسه** فإذا كانت السلطة شاغرة أدى ذلك إلى انقسام البلاد بكل سهولة ولكن ذلك لن يحدث إلا إذا قبل الشعب نفسه تحويل حراكه من ثورة شعبية إلى ثورة أشخاص، وهذا أمر وارد إذا لم يتنبه الشعب إلى خطورة الميل من مبدأ بناء جمهورية ثانية شعارها الحرية والعدل والمساواة وقوامها الوحدة والوطنية، إلى مبادئ شخصية تتحكم فيها رؤوس معدودة، ولكن الأزمات السياسية للبلاد والتي عاشها الشعب الجزائري منذ الاحتلال وحتى اليوم سيعطي دروسا للرأي العام بالتالي فلن تغير السياسات والأفكار من هدفه المنشود شيئا.

الهوية الوطنية في مواجهة الهويات

الحقيقة أن هذا الموضوع من أخطر المواضيع في فلسفة الذات ومن بين أخطر المواضيع داخل المجتمعات؛ لأنه بكل صراحة الفكرة الأساسية التي ارتكزت عليها فلسفة الاستعمار الفرنسي والتي تبعتها كل الحركات الكولونيالية الاستئصالية فيما بعد، إذ مما عملت عليه الحركات الاستعمارية بجدية هو موضوع **تقسيم الشعوب المستعمرة عن طريق خلق هويات متعددة لخلق أجيال من نفس المجتمع لا تشعر بالانتماء إليه وإنما تشعر بانتماء آخر ضيّق داخل مجتمع جزئي مغلق على نفسه**؛ وبالتالي **تدمير الهوية الكبرى بصناعة هويات صغيرة** تقسم الشعب وتجعله يتناحر ويدمر نفسه تدميرا ذاتيا دون أن يستطيع تدارك الصاعق الذي سينهي كل تلك الهويات المصطنعة.

"أفضـــل الـحريةَ الـمحفوفةَ بالــمخــاطرِ، عن الــــسلامِ الـمكبـل بالـعبـودية"

جون بول سارتر

علينا أن ننظر إلى الموضوع من جهة ما لابد منه لمعرفة ما لا يجب فعله والعمل عليه، فنحن نقول **أن الثورة تتعين بطبيعة العقل الثوري** ومن هنا تختلف الثورات بحسب الحد الثوري للفكرة أو بعبارة أخرى بحسب الفئات المنتمية إلى الثورة والمتبنية لمبادئها، ونقصد بذلك إشكالية الهوية في الثورة.

إن الواقع الراهن لحركات التحرر من الأنظمة سواء في العالم العربي أو العالم ككل **مرتبط بهوية جامعة لحدود ما يدافعون عنه**، فإذا كان ما يدافعون عنه فكرة عرقية فلا اعتبار هنا للحد الجغرافي بل قد تكون هذه الثورة سببا في انقسام البلاد تلك كما قد تساهم في حرب بين عدة دول تحمل في حدودها نفس العرق؛ ما يؤدي إلى بناء دويلات جديدة كما يشهد التاريخ بذلك، أو دول كبرى وهذه قليلة التحقق في ظل دفاع الدول المستهدفة بتلك الثورة عن وحدتها الجغرافية، نفس الأمر إلى أي مقوم جزئي يطغى على الهوية الوطنية، وهذا ما تعمل عليه مخابر إدارة الأزمات ونقصد بذلك **خلق دويلات جديدة ضعيفة تساهم بدورها في إضعاف الدولة الأم بذلك الانقسام**[22].

---

[22] - هذا ما حدث فعلا قبل أيام بعد كتابتنا لهذا المقال بمدة، حيث تم محاولة صناعة أزمة الهوية وتقسيم البلاد بخلق حكومات متعددة ذات عرقيات وهويات متنوعة خلال اجتماع سري ضم أخ الرئيس الجزائري

هذا ما علينا الحذر منه، ولا أقصد بذلك فقط حالة الثورة الجزائرية التي نشهدها اليوم ضد النظام بل الدول الإسلامية ككل مهددة بذلك وإن كنا نناصر حركات التحرر الجديدة من دكتاتوريات المجالس، وبما أننا نتكلم عن الجزائر فمن الجدير بالذكر أن التجربة الجزائرية هذه ستستنسخ في العديد من دول العالم العربي والإسلامي إن لم نقل أنها **ستكون بداية نوع**

سعيد بوتفليقة وقائدي المخابرات الجزائرية سابقا الفريق المتقاعد محمد مدين (الجنرال توفيق) واللواء بشير طرطاق وقيادة حزب جبهة التحرير والتجمع الوطني الديمقراطي وتجمع أمل الجزائر والحركة الشعبية الجزائرية بمعية عناصر فرنسية ضمت السفير الفرنسي بالجزائر وعناصر من المخابرات الفرنسية يوم الأربعاء 27 مارس 2019، بحسب بيان أصدره الجيش دون ذكر للأسماء، حيث حاولوا توريط الرئيس الأسبق ليامين زروال لولا تفطنه وتداركه للأزمة وحله لها رفقة الجيش الشعبي الوطني وإخراج الجزائر من ورطة التقسيم والتناحر، غير أننا يجب الحذر أكثر، ما لم يفهمه الحكام المسلمون هو أنه على الخونة من البراغماتيين الذاتيين أن يقرؤوا تاريخ أمثالهم، فتشارلز الأول ملك إنجلترا اصطدم في حرب طاحنة مع شعبه رضخ فيها لمطالب الشعب علنا ولكنه كان يخفي نيته في القضاء عليه عن طريق مفاوضة ملوك أوربا لإعانته على قمع الثورة، ما أسفر عن محاكمته بتهمة الخيانة وإعدامه أمام الجماهير الثائرة ضده، إن لم يفهموا هذا فعلى الشعوب أن تتوقع أعظم الخيانات للأوطان من طرف حكامهم حتى بعد إسقاطهم من على صهوة جواد السلطة.

جديد من الثورات لبناء عصر الجمهوريات الجديد والذي سيسفر عن اتحاد الجمهوريات الإسلامية الأمر الذي لن يوافقنا أحد على صحة حدوثه مستقبلا، ولعله سيكون لنا في ذلك حديث آخر ليس هذا موضعه.

علينا أن نعلم كما قلنا منذ قليل أن **العمل الثوري مرتبط بحدود ما يدافع عنه**، فإذا كان الهدف من الثورة ولاسيما إذا كانت سلمية هو إسقاط نظام الحكم القائم فهذا يعني أن **الهوية الوطنية التي يحكمها مبدأ الانتماء إلى الوطن الواحد بكل حدوده الجغرافية هي الهوية الوحيدة التي تقود الشعب ككل في نضاله الثوري ضد الاستبداد** وهذا ما نصت عليه فلسفة ثورة التحرير الجزائرية في بيان الفاتح من نوفمبر: "**أيها الشعب الجزائري، أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية، أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا**"؛ حيث يكون الوطن هو المعيار للعمل الثوري وبالتالي انتفاء كل ما يمكن تقسيمه.

ينتفي خلال هذه المرحلة كل ما يحاول بعض مديري الأزمات ترويجه على أساس أنه الهوية الوحيدة التي يجب الدفاع عنها، هذا طبعا خلال مرحلة الثورة أي مرحلة ما قبل التأسيس لما يراد تأسيسه وما يريد الشعب الجزائري هو **الجمهورية الثانية وهي بذاتها الجمهورية النوفمبرية**، وعلينا التأكيد على طبيعة التغير الفكري خلال مرحلة الثورة، **فبمجرد سقوط النظام الحاكم سيكون الشعب عرضة لأكبر**

خطر في التاريخ ألا وهو ظهور الهويات الكاسرة للهوية الوطنية بعبارة أخرى ظهور هويات كاسرة للوطن نفسه، وبالتالي فخطر فشل الثورة لا يتوقف بسقوط نظام ما أو تحقق مطالب الشعب وكما قال الثائر ماو تسي تونغ: "من يقوم بنصف ثورة كمن يحفر قبره بيده"، ولهذا فعلينا أن نحذر من ظهور ذلك داخل البلد أو من خارجه، فالاحتراز من ركوب الثورة لا يكون سابقا لإسقاط الهدف فحسب، بل علينا أن نعلم يقينا أن الألاعيب السياسية الكبرى لإثارة البلبلة والفتنة وتقسيم البلاد عن طريق ركوب أشخاص معينين لنجاح الثورة لينادوا بما يثير النزعة العرقية والطائفية في نفوس الشعب ككل ليس إلا طمعا في السلطة بخدمة أجندة خارجية تدعم هؤلاء الشخصيات ليتسلطوا على قسم من الشعب من جهة وكسر وحدة البلد من جهة أخرى وهذا لا يخفى من خلال العمل الدؤوب للمخابرات الأمريكية والفرنسية وحتى من طرف بعض الدول العربية لصناعة هذا السيناريو؛ **باللعب على وتر قضية العرق واللغة والتوجه الفكري**، علما أن **الشعب الجزائري قد حسم الخلاف حول القضية بندائه بجزائرية الجزائري أي بالتصريح بالهوية الوطنية التي تنفي أو بتعبير أصدق تجمع كل ما يسميه الغرب بالهويات ونسميه مقومات الهوية الجزائرية**، وهذا ما سيحدث في كل دول العالم العربي إن لم تتنبه له الشعوب العربية، **فتجسيد الهوية الوطنية لكل وطن من الأوطان ينقذ**

الدول من حيلة التقسيم باسم الهويات المتعددة، وأما عن **العلاقات بين الدول ككل فسيتم ذلك عن طريق الانتماء التاريخي أو أي انتماء جامع سواء اختلف هذا الانتماء من دول إلى أخرى أو اتحد في شكل واحد هو الأمة ككل.**

يجدر بالذكر أن **الانتماء قضية فكرية يصنعها الوعي الجماعي بطريقة ما توحد بين الأفراد والجماعات**، فالفرد في وجوده لا انتماء له في الحقيقة؛ ولكن ذلك الشيء الذي لا يغادره من الحاجة إلى غيره هو الارتباط الذي نسميه **انتماء**، وهو ليس إلا **حالة فكرية لا علاقة لها بالواقع المادي للفرد كعنصر مستقل في وجوده عن الآخر**، إذا فهمنا هذا علمنا يقينا **أن الفكر البشري قد يصل إلى مرحلة وحدة الفكر أو ما نسميه بالوحدة الذهنية تلك التي تصنع له انتماء ينفي عنه كل الانتماءات الأخرى**، ذلك هو السبيل الذي سينقذ المجتمعات من الانقسام، وكمثال طريف على أن **الانتماء ليس إلا قضية صورية فكرية**، هو أن يتصور الإنسان نفسه تائها في الكون فنسأله: عمن سيبحث حينها؟، سيقول: كوكب الأرض بحكم الانتماء إليها، ولن يقول طبعا: أهلي، فإذا وجد الأرض بحث عن قارته، فإن وجدها بحث عن بلده، فإن وجده توجه إلى قريته، فإن وصل قصد أهله، كل ذلك بحكم الانتماء إلى ما يبحث عنه، **ونرى هنا اختلاف مستويات تلك الانتماءات المتعددة، والتي تمثل مستويات من التفكير**، فإذا

فهمنا هذا فسنفهم السبب في خلق العدو للهويات المتعددة للمجتمع الواحد الأمر الذي يجب الحذر منه بنفس مستوى خطورته، ولبيان خطورته نأخذ مثالا شبيها بالذي سبق فنقول: **أن العقل البشري مهما تعصب لقضية هوية ما فهو بشكل لا واعي وخارج إرادة سيطرته العقلية على تفكير ينفي الهويات الجزئية بمجرد تهديد الهوية الكبرى** والتي قلنا هنا أنها يمكن أن تكون **الوطنية،** فإذا تأكد شخص ما أن أحدا ما ينوي تفجير قنبلة قادرة على تدمير كوكب الأرض ككل وهو يعلم أنها لن تُفجّر في بلده طبعا، فإنه بوعي منه أو بدون وعي سيرفض ذلك الفعل بشكل فوري وسيحاول إحباط ذلك بأي طريقة كانت، لأنه يعلم يقينا **أن تدمير الأرض تدمير لبلده الذي سينتج عنه تدميره هو نفسه،** نفس الأمر فيما نحذر منه، **إن تدمير الهوية الوطنية بخلق هويات متعددة تفجر الوضع ذاتيا** وهو أكبر خطر على المنتمين للوطن ككل، الأمر الذي تنبه إليه كبار الثوار الجزائريين وأقصد بالذكر الشهيد الراحل العقيد شعباني والمناضل الحر حسين آيت أحمد رحمهما الله في خلافهما مع هواري بومدين رحمه الله سنة 1963 فمجرد تهديد سلطة المغرب الأقصى للتراب الوطني الجزائري انضم شعباني وآيت أحمد رحمهما الله إلى الصفوف الأولى على الحدود الغربية للبلاد دفاعا عن الوحدة الترابية للوطن، الأمر الذي أنقذ الجزائر من خطر مؤكد، وهو ما يجب التنبه إليه إلى جانب الحذر من مغبة الوقوع في

شراك خبراء وصناع الأزمات في العالم.

علينا أن نفهم أن ما يستخدمه العدو مما يسميه **هويات متعددة هي في أصلها مقومات الهوية الوطنية والتي لا يمكن لأحد أن يحتكرها لذاته ويمنعها عن غيره من أبناء وطنه**، وبالتالي فعلينا أن نعلم نؤكد على ضرورة عدم تقسيم الهوية، وكمثال بيّن على المخطط الذي عملت عليه الحركة الكولونيالية منذ عهد الحروب الصليبية هو تقسيم العالم الإسلامي إلى هويات تخلق فيما بعد صراعا بين الطوائف، وهذا قد يحدث في الهويات ككل، فعلى سبيل المثال استُخدِمت السياسة وأكاذيب الصراع في بلاد الأندلس لتقسيم قوتها وهو ما أنتج الممالك الصغيرة فيما عرف بعد ذلك بعصر ملوك الطوائف، فيما استخدم الدين والعرق ذريعة لتقسيم العالم الإسلامي في الشرق بصناعة انتماءات مختلفة دينيا فصار الحيلة في التقسيم هي الاختلاف العقائدي وربما وصل إلى الخلاف الفقهي فحسب، ومن هنا رأينا ظهور دويلات جديدة بحجة الدين والعرق، فصار الصراع عربيا فارسيا، وسنيا شيعيا، ومواليا خارجيا، وغير ذلك، **وعلينا أن نعترف أن السبب الرئيس في ذلك هو الحكام حيث كانت البراجماتية سياستهم من الأزل، وأعانهم في ذلك النخبة ولاسيما رجال الدين لانصياع الشعوب لإرادتهم**، لذا فلا يجب أن نكتب تاريخا لم يحدث وأن نقدس الأشخاص وننفي عنهم غباءهم إن

نفينا عمالتهم للأعداء، والفرق بين تلك المراحل من التاريخ ومرحلتنا هذه هو أن **الخيانة بقيت في الطامحين إلى السلطة ولكنها ازدادت في النخبة وتوسعت وشملت فئات أخرى إلى جانب رجال دين السلاطين والحكام، والمفارقة الوحيدة هي الوسيلة وفقط** فكما كان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العصور المتقدمة من تاريخنا وتوظيف أقواله وفق مقاس الخونة كونها كانت الوسيلة الأكثر تأثيرا، صار الإعلام بمختلف أنواعه اليوم هو الوسيلة في خلق الهويات الجزئية وتحويل المقومات إلى هويات من خلال إعطائها لقب الهوية، غير أنه علينا أن نعلم أن هذا الموضوع على خطورته إلا أنه **يمكن تفادي أية محاولة لتشويه الهوية عن طريق الوعي الجماعي بالذات الجماعية للشعب، فخلق الهويات المتعددة ليس إلا لعبا بالعقل الجماعي لمجتمع ما ويتحقق نجاح الخطة لتدمير ذلك المجتمع بمدى قابلية المجتمع نفسه لتلك الأفكار** وهذا نفس الأمر بالنسبة للاستعمار وهو ما يسميه مالك بن نبي **بالقابلية للاستعمار**، والفرق الوحيد أن **القابلية للاستعمار تكمن في قبول سيطرة الآخر غير أن القابلية لتغيير الهوية واللعب بالعقل الجماعي للمجتمع بخلق هويات متعددة تنتج حربا داخلية وانقساما في المجتمع نفسه وتدمير الوطن تدميرا ذاتيا بأيدي أبنائه**.

ما ينتظر البلد اليوم هو ما ينتظر الشعوب العربية

والإسلامية ككل، إما المزيد من الانقسامات الداخلية في حال لم تع الشعوب ضرورة معرفة مخططات العدو، وإما الوحدة التي لا انقسام بعدها، قال مالك بن نبي رحمه الله: **"لكيلا لا نكون مستعمرين يجب أن نتخلص من القابلية للاستعمار"**، بعبارة أخرى: **حتى نكون أحرارا يجب علينا أن نفكر بعقل حر**، ولست متفائلا أكثر من اللزوم إذا قلت: **أن عصر الثورات الواعية قد بدأ لبناء عصر الجمهوريات العادلة،** وسنشهد كما قلنا دائما سقوط الحكومات المستبدة وسقوط أمراء الممالك العربية، لتقوم أنظمة الحكم الجمهورية وفق ما يقدّره العقل العربي الإسلامي[23] **سنشهد في تسارع تاريخي رهيب قيام اتحاد الجمهوريات الإسلامية، كل هذا سيكون بوعي الشعوب لما تريده ولا يكون ذلك إلا بالحفاظ على الوعي الجماعي والسيطرة الذاتية على العقل الجماعي للمجتمعات الإسلامية ككل**[24]، لذا فعلى الشعب الجزائري أن يعي ثورته وأن يعي ويتوقع ما يمكن حدوثه، وهذا ما على

---

[23] - نعني بذلك قيام أنظمة جمهورية تسير وفق مبادئ جديدة لحكم الشعوب لا وفق ما نراه من دعوى الأنظمة الجمهورية.

[24] - ما يجدر بنا التنبيه عليه هو أن عدوى الثورات سينتقل لزاما إلى الممالك الأوربية، غير أن السياسات المتبعة عند الغرب لتجعل من البراجماتية وسيلة لمحاولة إنقاذ دولها بالتالي فنحن نتوقع حروبا داخلية طاحنة وتمردا شعبيا لا نظير له في أوربا لن تنجو منه إلا الدول الديمقراطية ما لم تتورط في أزمات الممالك الأوربية.

الدول الأخرى أن تفعله أيضا، لأن **عصر حروب الجيل الخامس عصر الحروب الفكرية ولن يكون للأسلحة دور إلا الترهيب ما لم يتم التمرد على الثورة نفسها، فلن نجد الجيوش إلا وهي تناصر وتدافع عن مطالب الشعوب لوعي قواعد الجيش ككل وبعض قياداتها بنفس الوعي الجماعي ولأن حرب الجيل الخامس ليست حرب المدنيين فقط بل ستشارك الجيوش ككل في تأكيد الوعي الجماعي للشعوب، لهذا فستكون الهوية الوطنية لكل بلد هي الدرع أمام المخططات الغربية والخيانات الداخلية فيما سنشهد بعد سنوات قليلة بزوغ شمس الوحدة.**

وهم الإيديولوجيا في الثورة الشعبية

كثيرا ما تصنع الإيديولوجيات ما أسميه بالوعي الفئوي، ولكنه وعي جزئي يحمل قناعات لا تسمو إلى التبني الشعبي لها، ولكن الإيديولوجيا نفسها تصنع الثورات وتخلق المعارف كون الإيديولوجيا صانعة التفكير الإنساني ومولّدة الفلسفات، **ولطالما اقتنعت في ذاتي أن ما نسميه فلسفة ليس إلا تطرفا معرفيا تجاه فكرة ما أي أن الفلسفة نفسها ليست إلا التفكير الإيديولوجي،** لذلك نجد كل صاحب إيديولوجيا معينة صاحب فلسفة تحصر ذلك التوجه، **ولولا الإيديولوجيا لما وجدت الفلسفات** من أصلها.

لعل هذه المقدمة قد تحز في المخيال الجماعي للشعوب، ولكنها صحيحة من الناحية النظرية للتفكير

"علينا أن نحاول تعليم أطفالنا كيف يفكرون بدلاً من بماذا يفكرون"
تشي جيفارا

الفلسفي ولكنها أكبر خطأ قد يرتكبه العقل في التفكير المجتمعي، بعبارة أخرى **الشعوب تنادي بوهم الإيديولوجيات**[25]، ليس إلا لأن الفكرة البسيطة التي يحملها المجتمع البسيط هي **أن بروز الإيديولوجيا هو نفي العقل ذلك لغيره آليا**، أو على الأقل طغيان الفكرة المتطرفة على الفكرة الشعبية، وإذا تكلمنا هنا عن الثورة فإن **الإيديولوجيا وإن صنعت الثورات إلا أنها تصنع الثورة على الثورة** أي تصنع ثورة فؤوية تقسم الوحدة الثورية لشعب ما عن طريق صراع الأفكار التي تكوّن بدورها فعل الفرد وفعل المجتمع، لذا فالمجتمع في حالة الثورة ينهي كل القناعات الشخصية والفؤوية بحيث لا يتبنى خلال ثورته إلا الفكرة المجتمعية التي صنعت ثورته وهي في الجزائر بناء الجمهورية الثانية والتغيير السياسي من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية تحقيقا لمبادئ: الحرية، العدل، المساواة.

الحقيقة تقول أن الفكرة إذا خرجت من إطارها النسبي إلى إطارها المسلّم صارت إيديولوجيا، ومن المعروف أن

---

[25] - نقصد بذلك أن الشعب ينفي الإيديولوجيا في داخله إذا لم يتعلق الأمر بقضية صراع مع الآخر الذي يعتبر خارجا عما يجمع ذلك الشعب، وإلا فإن الإيديولوجيا هي التي تحمي الذات المجتمعية بنفس الدرجة التي تكسرها إذا استغلها العدو ونشرها داخل ذلك المجتمع لتفكيكه بخلق إيديولوجيات متصارعة.

الأفكار نسبية، وأن اليقين فيها لا يرقى إلى التوافق الجماعي حولها، فما هو نسبي عندنا هو يقيني في مجتمع آخر والعكس صحيح، كما أن الخرافي عندنا هو أمر مسلّم به عند مجتمع غير المجتمع الذي نعيش فيه ونحمل أفكاره، وهذا ليس عيبا في العقل البشري، بل هو في صميم **الهندسة العقلية** للبحث عن المعرفة والحقيقة، فإذا طبقنا هذا على ما نحن بصدده فعلينا أن نعلم يقينا أن **المجتمع الثوري وإن نفى الإيديولوجيا ورفضها فإنه لا يفعل ذلك إلا لاستيلاء إيديولوجيا أخرى على تفكيره الجمعي**[26]، وبالتالي فهو أسير نفس ما يرفضه، ولكن الأمر الفريد في هذا أن **إيديولوجيا المجتمع الثوري هي الإيديولوجيا التي تصنع التاريخ الحقيقي لا التاريخ المرحلي التي تصنعه الإيديولوجيات الأخرى،** فالإيديولوجيات الفئوية تنفي بعضها، أي أن هناك صراعا إيديولوجيا حتميا هو المسؤول عن تدمير وإبقاء إديولوجيات ما، ولكن البقاء لا يكون إلا للإيديولوجيا التي يتبناها الفكر الشعبي، وليس المعنى في هذا أن الأكثر تأثيرا على الشعوب هي التي تبقى في النهاية بل يكون البقاء للأكثر رسوخا في الفكر البشري حيث لا يكون قابلا للأفول، وقد رأينا أن الماركسية سرعان

---

[26] - ليس هذا تناقضا في الحكم على التاريخ الإديولوجي للشعوب فالفارق هو أن الإيديولوجيا مرتبطة بفئة اجتماعية تعمم تلك الفكرة بينما الإيديولوجيا الثورية تنفي الإيديولوجيات الفئوية وتلم شمل الشعب ككل في تحت راية واحدة يمكن تسميتها إديولوجيا تجاوزا.

ما تلاشت بعد ذلك الزخم والتبني العالمي لمبادئها ولكن السبب في تركها من أغلب الشعوب هو أنها كانت عقيدة قابلة للنقد النظري والواقعي وبالتالي سهولة تلاشيها بمجرد وجود البديل.

هناك فكرة قد لا يوافقني عليها الكثير، وهي **أن الفكرة التي تسيطر على مجتمع ما لا تعتبر إيديولوجيا داخله** وإن اعتبرت على مستوى التفكير البشري تطرفا حقيقيا؛ كفكرة التدين، فيما نرى الطائفية في حقيقتها إيديولوجيا بكل المقاييس، ولهذا علينا أن نفهم **أن فكرة الثورة الشعبية أو الجماهيرية تنفي كل الإيديولوجيات داخل المجتمع الثائر** ذلك، وإذا تكلمنا عن المجتمع الجزائري فعلينا أن نتيقن كما قلنا في كلامنا عن الهوية أن المجتمع الجزائري كباقي المجتمعات يحمل الكثير من مقومات الهوية فهو يحمل الكثير من مقومات التفكير الجماعي[27] والذي يضم الكثير من الإيديولوجيات التي تتحد في العقل المجتمعي للشعب الجزائري تلك الوحدة التي تظهر في سر الثورة الجزائرية من أجل تأسيس الجمهورية الثانية، **ولكن الخطر وشيك في**

---

[27] - ونؤكد على مصطلح التفكير الجماعي أو المجتمعي لا الفردي، فالتفكير الفردي يبقى ذا قناعات شخصية بفكر ما وأما التفكير الجماعي فهو التنوع الفكري والترابط المعرفي داخل المجتمع ككل لبناء صرح العقل المجتمعي الذي ينتمي إليه الكل على مختلف القناعات.

جعل الإيديولوجيا منفذا لتفكيك الحراك الشعبي وبالتالي تشتيت التفكير الجماعي وإذا كانت الأفكار هي التي تصنع الواقع فالخطر محدق في إبراز أفكار تصنع واقعا منقسما ومتناحرا في سبيل إثبات الذات ونفي الآخر ذلك الآخر الذي لا يمثل إلا أبناء الوطن الواحد، قال علي شريعتي: "إذا أردت أن تخرب أي ثورة؛ فقط أعطها بعداً طائفياً أو دينياً، وستنتهي إلى هباء".

على الشعوب أن تعي أن الحل الوحيد في إنقاذ ترابها الوطني يكمن في نهاية الإيديولوجيات عن طريق سيطرة فكرة الوطنية والارتباط بالوطن على التفكير الشعبي لأي بلد كان، قال تشي جيفارا: "في حب بلادك، لا تكن محايداً، كن متطرفاً حتى الموت"؛ بهذا الشكل فقط يتحد الهدف الشعبي وتنتهي الأفكار الفئوية، فالمجتمع يحمل الفكر الخصب البسيط، بينما **لن تجد في النخبة إلا التطرف الفكري الذي ينفي كل ما سواه**، ولهذا فإننا نؤكد على أن النخبة ولاسيما تلك النخبة التي خلقت بينها وبين الشعوب حاجزا فكريا لعدم التقبل –تلك النخبة- أخطر الأشياء على الثورات الجماهيرية لا سيما في بناء دول تنفي أو تُفقِدُهم طموحاتهم التي تمثل صميم أفكارهم المتطرفة.

إن ما ينتظر الحراك الشعبي هو **معركة الإيديولوجيات** فإذا تم نفيها تمت السيطرة على مخططات السلطة من الداخل

والعدو من الخارج في اختراق الثورة وسوقها في خط ينافي الخط الثوري الذي قامت عليه، **ومما يمكن أن يعمل عليه خبراء الأزمات في سرقة الثورة أو إفشالها هو اللعب على وتر العرق واللغة والدين، فإذا صان الشعب هويته الوطنية وتمت السيطرة على مفهوم العرق واللغة داخل المجتمع بجعلها مقومات للهوية الوطنية وركائز لها كان اللعب حتميا على وتر التنوع الفكري ولاسيما الدين من خلال التقسيم الطائفي من جهة والتمييز الإيديولوجي بين الأفكار الدينية والأفكار العلمانية** من جهة أخرى، والحل الوحيد لتفادي ذلك هو **صناعة فكرة جامعة تنطوي على الفخر بالتنوع الفكري داخل المجتمع وجعل ذلك التنوع ميزة إيجابية في تلاقح الفكر الجماعي وتطويره وبالتالي صناعة فكرة المجتمع الواحد** كما نص على ذلك بيان الفاتح من نوفمبر: "احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني"، وهذا ما صنعه الحكام الرستميون في العصور الوسطى حيث تم **بناء دولة ذات فكر مجتمعي واحد يستغل التنوع الثقافي والفكري لصالحه** فنتج عن ذلك ميلاد مجتمع مثاليّ فكريا لم تستطع أية دولة صناعته.

زيادة على ما ذكرناه حول الإيديولوجيا يوجد باب آخر يمكن للعدو الخارجي أو العميل في الداخل أن يستغله لتشتيت الثورة الشعبية وهو أن يستغل **التاريخ الإيديولوجي** لمن يمثل

للعدو خطرا على مصالح، ويتمثل ذلك في إثارة بعض المواقف الإيديولوجية لشخصية ما حدثت في ماضي ذلك الشخص نفسه، بينما الحقيقة تقول أن تلك المواقف كانت مواقف مرحلية وليست فكرة مستمرة[28] وهنا يفقد الكثير من الوطنيين والثوار الشرعية حتى في الانضمام إلى الثورة لا لسبب إلا الإشاعة بدليل منتهي الصلاحية، وما يساعد على هذا هو الوسيلة الحربية نفسها في حروب الجيل الخامس والتي تتمثل في الإعلام والتواصل الاجتماعي، لأن **مرحلة الثورة تحمل نسبة كبيرة جدا من الضغط على العقل المجتمعي والفردي** وبالتالي:

- **سيكون العقل الجماعي مصدقا لأي إشاعة يثبت لها طرف دليل.**
- **سيكون العقل الجماعي بدوه عرضة للتوجيه والقبول اللاواعي لما يرِدُه.**
- **سيكون العقل الجماعي هو الصانع للثورة على ثورته أي هو نفسه سيكون المدمر لثورته.**

بل لعل الشعوب هنا ستلعب الدور الأكبر في تسهيل مخططات العدو في تقسيم بلدانها أو احتلالها بحجة الحفاظ على السلم أو استعمارها المسلح و المباشر.

---

[28] - نقصد هنا الشخصيات التي لا تمتلك تاريخا في الفساد والنهب.

لعلنا هنا ننوه إلى خطورة موضوع الإيديولوجيات الأمر الذي على الشعوب أن تفهمه وتتدارسه في حال صناعة الثورة الشعبية، ذلك أن الثورة إذا بدأت ضمت الجميع، على اختلاف الأفكار والمذاهب لاسيما إذا بدأت بالفكرة المجتمعية كالفكرة حول القضاء على أزمة ما، ولكن **المشكلة تبدأ في لحظة بداية الوصول إلى الهدف،** فكما ضمت الثورة كل الإيديولوجيات فستظهر ملامح تلك الأفكار بمجرد بداية الظفر بالمطلوب حيث ستتوجه الأفكار المختلفة إلى صناعة فكرة مسبقة عن غيرها بحيث تنفي كل الحلول التي تقتنع بها العقول الأخرى للمجتمع نفسه أي أنها لن ترى الحل إلا فيما تمتلكه هي، وهذا ما على الثوار أن يعملوا على تفاديه بل عليهم العمل على توحيد المنهج عن طريق خلق منهج وطني يشمل كل ما داخل حدود الوطن من أشخاص وأفكار وأشياء، بعبارة أخرى على الثورة **الشعبية أن تنفي كل الثورات الفئوية أي أن تنفي كل الإيديولوجيات لتحتفظ في طريقها إلى آخر مرحلة من البناء الثوري بفكرة الوطن لا غير.**

وصلنا هنا إلى سؤال قد يتمالك أي عقل إنساني ثوري :

- **هل هناك إيديولوجيا تنهي كل الإيديولوجيات؟**

في الحقيقة **الشعوب هي التي تنهي الإيديولوجيات** لأن **الإيديولوجيات تتملك العقول المتطرفة والتطرف لا ينقضّ إلا على العقل أحادي التفكير** بينما **الشعوب بفرض الاجتماع**

الإنساني تمتلك العقل الجماعي الذي تلتقي فيه كل الأفكار في عقل متنوع ليكون مجتمعا واسعا متفتحا[29] عكس المجتمع الضيق المنغلق على نفسه، **فالإيديولوجيا التي ستنتهي الإيديولوجيات هي الإيديولوجيا التي تتقبل الآخر ولا تنفي أفكاره، فالمجتمع الفاضل هو ذلك المجتمع البسيط الذي يقتنع كل جزء منه بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ بينما رأي الآخر خطأ يحتمل الصواب.**

---

[29] - لا نقصد بالتفتح الخروج من دائرة العقل الأخلاقي إلى نفي الأخلاق كما هو معروف في عصرنا فنفي الأخلاق (التفتح كما يسميه البعض) هو في حد ذاته إيديولوجيا خطرة لأنها حرية تسيء إلى حرية الآخر.

الثورة الشعبية وسقوط الأنظمة

تكلمنا فيما سبق عن الثورة والشعبية وثورة الأشخاص، وعلمنا أن **الشعب إذا لم يحتضن الثورة مهما كانت فهي آيلة إلى الزوال** وإن كان الأشخاص قد يصنعون ثورات شعبية حيث يبقى ذلك في سياق الفكر الجماعي للشعب ككل، فإذا تحدثنا عن إسقاط أنظمة الحكم فنحن نتحدث عن نوعين من الثورات هي:

- الثورة المسلحة.
- الثورة السلمية.

غالبا ما تكون عواقب الثورة المسلحة دموية تترتب عنها خسائر قد تجعل من النظام الموالي في مهب ريح ثورات أخرى لعدم قدرته على تسيير البلاد بعد ما تلاحقت نتائج الثورة الأولى عليه ، إلا أن يكون الثوار من قلب الجيش النظامي نفسه

"لا تثق بالبدايات ، فأصدق الكلام يقال في اللحظة الأخيرة"

رينيه ديكارت

في حالة الانقلابات العسكرية والتي غالبا ما تكون خسائرها أقل بكثير من خسائر الثورة المسلحة ذات التعبئة الشعبية في قوات غير نظامية، والتي يطول زمنها، بل والتي قد تفشل من أساسها لأسباب كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها، ولكن الجدير بالذكر أن **الثورات السلمية للشعب وانتفاض الشعوب ضد حكامها أكثر الثورات خطرا على أنظمة الحكم من جهة سلميتها أولا وسرعة الوصول إلى الهدف ثانيا بإسقاط نظام الحكم**، والسر في ذلك هو **عدم وجود السبب المباشر للعمل المسلح ضد المتظاهرين، فأي عمل مسلح من طرف النظام أو الجيش يُفقد النظام شرعيته وبالتالي تتحول صفة النظام العنيف من صورة الشرعية السلطوية إلى صورة التنظيم الإرهابي ما يعطي الشرعية لإسقاط النظام ككل.**

علينا أن نعلم أن ردة الفعل لا تحدث إلا بفعل سابق وإلا لما سميت ردة فعل أصلا، ولهذا نقول: **إن الفعل الشعبي يقرر بل ويصنع** ردة **فعل القوات المسلحة التي تعتبر حامية للدولة بكل مقوماتها، فالسلمية الشعبية في المطالبة بشيء ما تجبر الجيش على عدم** ردة **الفعل العنيفة بل وتجبره بشكل لاواعي على التعاطف مع الفكرة، فالفكرة التي يعمل بها العقل العسكري هو استعمال السلاح لرد الخطر فإذا انتفى وجود الخطر انتفى ذلك الفعل**، كما لا ننسى أن الجيوش ككل ولا سيما **الجيوش العربية هي من قلب الشعب نفسه وأبناؤه،**

بالتالي **فلا يجب أن ننسى ذلك الشعور بالانتماء المجتمعي ووحدة الشعور الجمعي بالواقع**، لاسيما في القرن الحالي مع تكنولوجيا التواصل، والتي كسرت أوجه الاختلاف بين الفئات **فلا فرق بين المدني والعسكري إلا البزة العسكرية وفقط ويستطيع في لحظة ما أي جيش خلال غلبة الشعور بالمدنية أن ينزع البزة العسكرية وينظم إلى الثورة الشعبية هذا إذا لم ينظم فعليا إليها ببزته وسلاحه**.

من المفترض أن يعي العقل السلطوي أن التغير التاريخي وسيرورة الأحداث في القرن الواحد والعشرين تفوق كل الاعتبارات الرقابية على الذهنية الجماعية لمجتمع ما لاسيما إذا كانت السلطة بعيدة عن التفكير والتسيير العلمي للمجتمع والتاريخ، لذا فما يجب فهمه هو أنه **ليست الفلسفة ما يقوله الفلاسفة، ولكنها ما تتوافق عليه الشعوب**، هي ذلك **الشعور الجمعي بالفكرة**، ومن هنا علينا أن نصرّح أن الشعوب اليوم لا تعيش في زمن حكامها ولا الحكام يعيشون في نفس زمن شعوبهم، يقول رينيه ديكارت: "من أكبر أخطاءنا أننا نفترض بأن الأشخاص الآخرين يفكرون بنفس طريقة تفكيرنا"؛ هكذا أخطأ الحكام، هناك الكثير من الاختلاف بين الطبقتين، بين المستبدين والمستضعفين، بين الحكام والشعوب، ولكن التطور الفكري في عصرنا يسير في جانب المجتمعات، ليس لأنها أكثر معرفة بل لسببين هما:

- أن المجتمع يحمل مالا يحصى من الأفكار التي تتلاقح في وسط المجتمع .
- أن الفكرة البسيطة إذا تبناها مجتمع ما صارت أخطر من إعلان الحرب.

ما لا تعرفه النخبة الحاكمة هو أن الفكرة القديمة عن الشعوب وعن سياسة التحكم في التفكير الجمعي للمجتمعات قد تغيرت تماما، ليس لأن السلطة ونخص بها السلطة العربية على الخصوص بعيدة عن مجتمعاتها بل الغريب في الأمر أن التغير الذهني يحدث أمام أعينهم عن طريق التواصل المجتمعي للشعوب وسهولة معرفة الأفكار وتصنيفها، بل وتصنيف الحاكم نفسه بحسب سياساته تجاه شعبه، ليس هذا فحسب، بل كما أشرنا من قبل **صارت السلطات الحاكمة في المجتمعات العربية المسؤول الأول عن صناعة الوعي الشعبي عن طريق التاريخ الذهني للمجتمع وأفراده والنقد التاريخي للواقع والأزمات التي قهروا بها شعوبهم، فالأزمة التي يصنعها الحاكم هي الركيزة الأساسية في تغيير الذهنية العامة للشعب.**

إذا فهمنا هذا فهمنا بشكل آلي أن **طريقة التحكم في الجيوش اليوم تمر بنفس شكل التغير للتحكم في الشعوب؛ خاصة وأن هذه الجيوش جزء لا يتجزأ من مجتمعاتها، وبالتالي فإن التغير الذهني واكتساب الشعور العام الذي يمثل**

تاريخ المجتمع هو نفسه ما يحدث داخل العسكري ومجتمعه حذو القذة بالقذة، لاسيما إذا تكلمنا عن جيش نظامي كالجيش الجزائري الذي لا ينفك عن جزائريته ووطنية باعتبار كل عسكري منه مواطنا من أوساط الشعب البسيط، هذا إذا ذكرنا العسكريين العمال فقط، وإلا فالشعب الجزائري يعتبر بأكمله عسكريا تلقى تدريبا عسكريا في ثكنات الجيش النظامي وفي عمق المناطق العسكرية الأكثر حساسية، وبالتالي نقولها بكل صراحة: **الجيش هو من صنع الثورة على النظام الفاسد في الجزائر**[30]**، وهذا هو السر في شعار أن الجيش والشعب إخوة، لأن الفرق الوحيد بين العسكري والمدني في الجزائر هو السلاح الذي سيحمله المدني آليا مع أي تهديد خارجي للتراب الوطني،** ولعل هذا يوضح لنا بجلاء **فكرة الهوية الوطنية في مواجهة الهويات لأنها الوحيدة التي يتبناها العسكري والمدني بمجرد حاجة الوطن إلى أبنائه على اختلاف أفكار المجتمع ككلّ** .

لا ينكر أحد على وجه الأرض أن وظيفة الجيوش حماية ترابها الوطني بكل ما يحتويه، ولكن **الراحة العقلية من التفكير في الخطر الخارجي على الوطن يصنع تفكيرا آخر مسايرا تماما للتغير المادي للدولة سواء التغير المادي للشعب ككل أو لأفراد معينين لا بد وأن يكونوا من المتمكنين**

---

30 - نعني بذلك الشعب نفسه الذي يمثل القوة الاحتياطية لحماية الوطن.

في دواليب السلطة.

علينا أن نعلم أن هناك نوعين من تغير مهمة الجيوش:

- أحدهما هو **الانتقال من حماية الوطن إلى الاعتداء على أوطان الآخرين** وهذا ما نراه كثيرا في الدول الكبرى في عالم اليوم وهو أحد أسلوبين هما: تصدير الأزمات الداخلية إلى الخارج، أو حماية الوطن عن طريق القضاء على من يمثل تهديدا.
- وأما الثاني فهو **الانتقال من حماية الوطن إلى حماية النظام الحاكم دون الشعب** وهو ما نراه في الحكومات العربية وغيرها من دول العالم الثالث ولاسيما الممالك، حيث تكون الجيوش وسيلة في أيدي جماعة السلطة الحاكمة وسببه توجس الخوف من شعبها، ولا يكون ذلك إلا لاعتبارين نفسيين هما: أن **هؤلاء الحكام يعترفون في أنفسهم بالفساد،** إضافة إلى **اعترافهم بعدم الكفاءة على التسيير الراشد بحيث يعترفون بظلمهم للشعب،** وبالتالي توريط الجيش في المصالح الشخصية، **فإذا تحولت مهام الجيش من حماية الوطن إلى حماية الحاكم صار لزاما تحول الحاكم هنا من صفة حاكم الدولة إلى صفة العصابة أو ما نسميه صفة التنظيم الإرهابي، حيث يكون الجيش هنا أداة للحماية**

بعبارة أخرى تتحول صفة الجيش من صفة الحامي إلى صفة المرتزق وهذا مالا يرضى به الجيش الجزائري والجيوش الشعبية التي سرعان ما تتحول من الصمت المساير للأوضاع إلى الثورة على الحاكم من خلال مناصرة الشعب المطالب بتنحيته ولاسيما **إذا كانت الثورة محتضنة من طرف الشعب ما يعطي شرعية شعبية للجيش بالثورة على الفساد السلطوي**[31].

لطالما كان الاستبداد بالسلطة ليس إلا نتيجة لسيطرة فئة قليلة صاحبة قرار على مراكز القرار في الجيش بطريقة ما تختلف باختلاف الأساليب، وبالتالي يكون الجيش وسيلة الاستقواء والسيطرة على الرأي العام عن طريق مبدأ القوة وهذا وإن كان سهلا في العقود الماضية عن طريق البعد التواصلي داخل المجتمع إلا أن **من أساليب حروب الجيل الخامس هو تقريب المفاهيم الشعبية إلى العسكري البسيط المرابط على الحدود وبالتالي كسر ذلك الحاجز القائم بين المواطن والجيش وهنا يستطيع المجتمع بناء أفكار موحدة حول الوضع السائد في البلاد بحيث لا تكون الثورة بمثابة الصدمة للعسكري البسيط كما تكون لأصحاب القرار بل**

---

[31] ـ ويظن الفساد السلطوي فساد الحكم والقرار والمال والإدارة باعتبارها أصنافا تكاملية للفساد داخل منظومة الحكم ككل.

المؤكد والذي لا شك فيه أن العسكريين البسطاء ونقصد بهم الجنود المرابطين كانوا من صناع الثورة إلى جانب الشعب.

علينا أن نعلم بكل يقين **أن الانفجار الشعبي والثورة ضد السلطة القائمة في أي دولة كانت إنما هو وليد أزمات متراكمة في الذهن الجماعي للشعب، ولكن هذه الأزمات لن تصنع وحدة النهوض ضد النظام مع وجود كل أسبابه إلا بوجود القطرة التي تفيض الكأس والتي تكون أزمة يشعر من خلالها الشعب ككل مدنيين وعسكريين دون استثناء بالخطر المحدق والحتمي**، ومجرد النظر في تاريخ الثورات في دول العالم عبر مراحل التاريخ يوضح ذلك تماما، وبما أننا نتحدث هنا عن المثال الراهن المتمثل في ثورة الشباب الجزائري فالأزمة التي صنعت كل هذا والتي نعتبرها القطرة التي أفاضت الكأس هي أزمة إلغاء الدستور والدوس على مقرراته رغم كل ما فيه من نقائص، لهذا **ورغم كل الأزمات التي حركت الشعب إلا أن الشعور الجمعي ومفهوم الأزمة في الجزائر جعل الشعب يتوحد ذهنيا حول قضية أن إلغاء الدستور وعدم العمل بموجبه يفسر كل الأزمات التي يعيشها ولهذا نادى الشعب بمغادرة العصابة ذلك المصطلح الذي يدل على وجود جماعة من الأشخاص تسير البلاد وفق ما يناسبها فإذا مرت هذه المرحلة غير الدستورية دون رفض الشعب لها فهذا يعني أن الشعب في مهب الريح التي**

ستعصف بالبلاد، فتكون الأزمة من أصلها أزمة دستور[32] وبعبارة أخرى **المشكلة هي الخروج عن القانون والذي خرج عن القانون هو النظام نفسه،** لهذا فلا عجب أن نقول أن **من أثار الشعب هو السلطة نفسها بخروجها عن الإرادة**

---

[32] - علينا أن نعلم أنه المؤسسات في طريق تغيرها من النظام الجمهوري إلى الديكتاتورية تستغل الدستور وقد تقوم بمخالفته تماما كما رأينا ذلك في أكذوبة تمديد العهدة الرابعة لعبد العزيز بوتفليقة، ولكن ما رأيناه خلال هذه الأيام من تفعيل المادة 102 من الدستور الجزائري ليس إلا محاولة للعب على وتر الدستور نفسه، أو جس نبض الحراك الشعبي في الجزائر من خلال إعطاء الشرعية لتدخل الجيش، ولكن السلطة تناست الفكرة الشعبية الأولية التي أخرجته إلى الشارع مطالبا بإسقاط العصابة (النظام) ألا وهي مخالفة الدستور أو الدوس عليه بعبارة أخرى، وما تناساه المطالبون بتطبيق الدستور وفق ذلك المنطق هو المخيال الجماعي للشعوب والذي يقول أن فكرة ما إذا انتفت عن العقل الجماعي فإنه لا يستطيع استرجاعها إلا وفق شعوره بكسرها، بمعنى أن القضية عندما تغيرت من المطالبة بعدم ترشح بوتفليقة لعهدة خامسة إلى إسقاط النظام بعد الدوس على الدستور فإن الشعب لن يتقبل فكرة تطبيق الدستور نفسه بأيدي من يطالب بتنحيتهم لفقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم، وبالتالي فالحل الوحيد هو تجاوز الدستور والانتقال إلى سلطة الشعب لأن الفرق بين الفرد والمجتمع هو أن الفرد قد يستعيد الثقة في الآخر بينما المجتمع تحكمه الفكرة الجماعية لا الفكرة الشخصية وبالتالي فنحن أمام أزمة النظام نفسه وهذا ما سيؤدي إلى حل المؤسسات التشريعية والدستورية تلقائيا عن طريق نفي المجتمع لها وأما الحل فلن يكون إلا بدستور ثوري يصادق عليه الشعب نفسه وبتفعيل السلطة القضائية واستقلاليتها تماما عن المؤسسات الأخرى.

الشعبية وانقلابها على الدستور وهنا يصح إطلاق لفظ العصابة على من خرج على الشعب الذي يمثل السلطة الحقيقية في البلاد وألغى الدستور الذي يمثل وثيقة الصلح بين الشعب والنظام، فغريزة الدفاع عن الذات لا تظهر إلا بالتوجس من الخطر، والخطر هنا هو خروج النظام عن الإرادة الشعبية، **فالفرق الوحيد بين الشعب والحاكم أن الحاكم ذو صلاحيات قدمها له الشعب ليخدمه لا ليتسلط بها عليه،** يقول جون جاك روسو: "هناك سلطة تحكم، ومحكوم يطيع، نشأ بينهما **عقد اجتماعي** يفرض بأن يقوم كل منهما بواجبه، **فإذا أخلَّ فريق بواجبه حق للآخر فك العقد والثورة"**؛ إذا فهمنا هذا علمنا يقينا أن العصابة قد ألغت النظام الجمهوري وبدأت تمارس دكتاتورية من نوع جديد، **فمعركة الجزائر اليوم معركة دستورية لبناء سيادة القانون التي تمثل سيادة الدولة[33] والتي تتبعها عدة معارك في الفكر والاقتصاد من أجل صناعة التاريخ لا مسايرة حتميته، فالمعركة ضد الأنظمة المستبدة قد تكون أسهل بكثير مما يعقبها من معارك التحرر من التبعية، "**معركة التحرر

---

[33] - يعني هذا إسقاط كل القوى غير الدستورية سواء القوى الداخلية أو القوى الأجنبية التي تتحكم في الدولة وبالتالي المعركة معركة إسقاط النظام وتغييره تماما الأمر الذي سيفتح عدة جبهات داخلية وخارجية على الشعب مقاومتها فكريا بحسن التعامل وعمليا بالوحدة ولم الشمل والمحافظة على التراب الوطني.

الاقتصادي أصعب وأشق من معركة التحرر السياسي" هكذا قال الراحل هواري بومدين، وهكذا علينا أن نفهم ما نحن مقدمون عليه.

إن فكرة التحرر من الاستبداد ليست فكرة إيديولوجية خلقها تفكير جماعة من الناس، فالثورة والتحرر فكرة إنسانية، ارتبطت بكل الشعوب، بجميع البشر.

خلال المراحل الأولى من التاريخ الأمريكي صنع لنكولن مبدأ جديدا في العلاقة بين النظام والشعب الأمريكي حيث قال أنه "من حق الشعب أن يغير الحكومة بالطرق الدستورية فإن لم يستطع ذلك فله أن يغيرها بالقوة"، ولكن علينا أن نفهم الفرق بين المرحلتين مرحلة لنكولن ومرحلتنا نحن خاصة **وأننا في عالم ثالث لا يعترف بسلطة الشعب** أولا، **ويتحين الغرب أي صدام ليلعب على رقعة الشطرنج** ثانيا، وعلى هذا فإننا نؤكد على التغيير الدستوري لسياسة البلاد وهذا طبعا لا يكون إلا بدستور غير قابل للمساس ولا للتعديل، وأما **القوة فهي قوة المطالبة السلمية** والتعبير عن الرفض المطلق لسياسة البلاد لاسيما ونحن في مرحلة **ثورات الابتسامة**[34]،

---

[34] - **"ثورة الابتسامة"** هي عبارة رفعتها إحدى النساء الجزائريات في لافتة خلال الحراك الشعبي في الجزائر، كما قد تسمى أيضا بـ**"ثورة البهجة"** بسبب المساهمة العظيمة لأغاني البهجة في الملاعب الجزائرية والتي كانت تحمل أفكارا شبانية توعوية.

والتي **لا تستطيع أنظمة الحكم أن تبرر عمليات العنف ضدها، فإذا ما استخدمت حكومة ما القمع**[35] **ضد الثوار الجدد فقد نزعت عن نفسها هالة الشرعية للحكم نهائيا** وصار وقوعها تحت طائلة العدالة حتميا باعتبارها عصابة منظمة، والتي سيكون من واجب الجيش التعامل معها وفق الإرادة الشعبية، **ما على الحكومات أن تعلمه أن التسلط على من خولها الحكم خروج على الإرادة الشعبية وفقدان لشرعية الحكم بحكم مخالفة الدستور، وهو ما نسميه بالخروج على الجماعة التي هي الشعب**.

[35] - بطبيعة الحال لا يكون القمع إلا بأحد شكلين: إما تدخل الجيش لقمع الشعب وهذا مستبعد في بلدنا لوعي الجيش بالواقع التاريخي وبالمسؤولية الدستورية المنوطة به، وإما بعناصر مرتزقة تُقحَم داخل الجيش لقمع الشعب من جهة ومحاولة الإساءة إلى سمعة الجيش تحسبا لانقلابه على العصابة وبالتالي تشويه صورة الجيش في المخيال الجماعي للشعب.

خاتمة

خاتمة

لعل ما أشرنا إليه في هذه الرتوشات التي ترسم صورة للبعد الذي دخله المجتمع الجزائري؛ عن طريق تغير الذهنية الجماعية وتغيير طريقة التفكير من التفكير الموجه إلى التفكير الذاتي، حيث استعاد العقل الجزائري حرية تفكيره بعد أن اختطفها منه من كان يفكر مكانه ويطالبه بتبني ذلك المسخ من رصيد العقل المستبد.

لسنا في عهد ولا في عقلية بوسويه الذي كان يقول أنّ سلطة الحكومة مستمدة من الله، وأن الله وحده من يحاسب الملوك، وأنّ الملك غير مسؤول أمام شعبه.

ما على العقل المستعمَر إلا أن ينفي عنه فكرة الاستعمار ويخلق في نفسه عالما من النقد يوصله إلى الحقيقة، عالما من معرفة المعروف ونقد المنكر لتصحيح الواقع وصناعة التاريخ.

"حيث تكون الحرية يكون الوطن"

بنيامين فرانكلين

إن التفكير الثوري تفكير متجدد ينبع من صفاء الذات إذا ما كان العقل في وطن يؤمن بالحرية وينشر العدل ويحفظ المساواة، فالثورة التي تبدأ بتغيير النفس التي تمثل الذهنية وتمر بتغيير الواقع إلى ما هو خير مما هو فيه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يمثله الرفض الشعبي لدوس الإرادة الشعبية، عليه أن يواصل المسير نحو ثورته في تصحيح المفاهيم وخلق الأفكار الذي يمثل الإصلاح وإعمار الوطن.

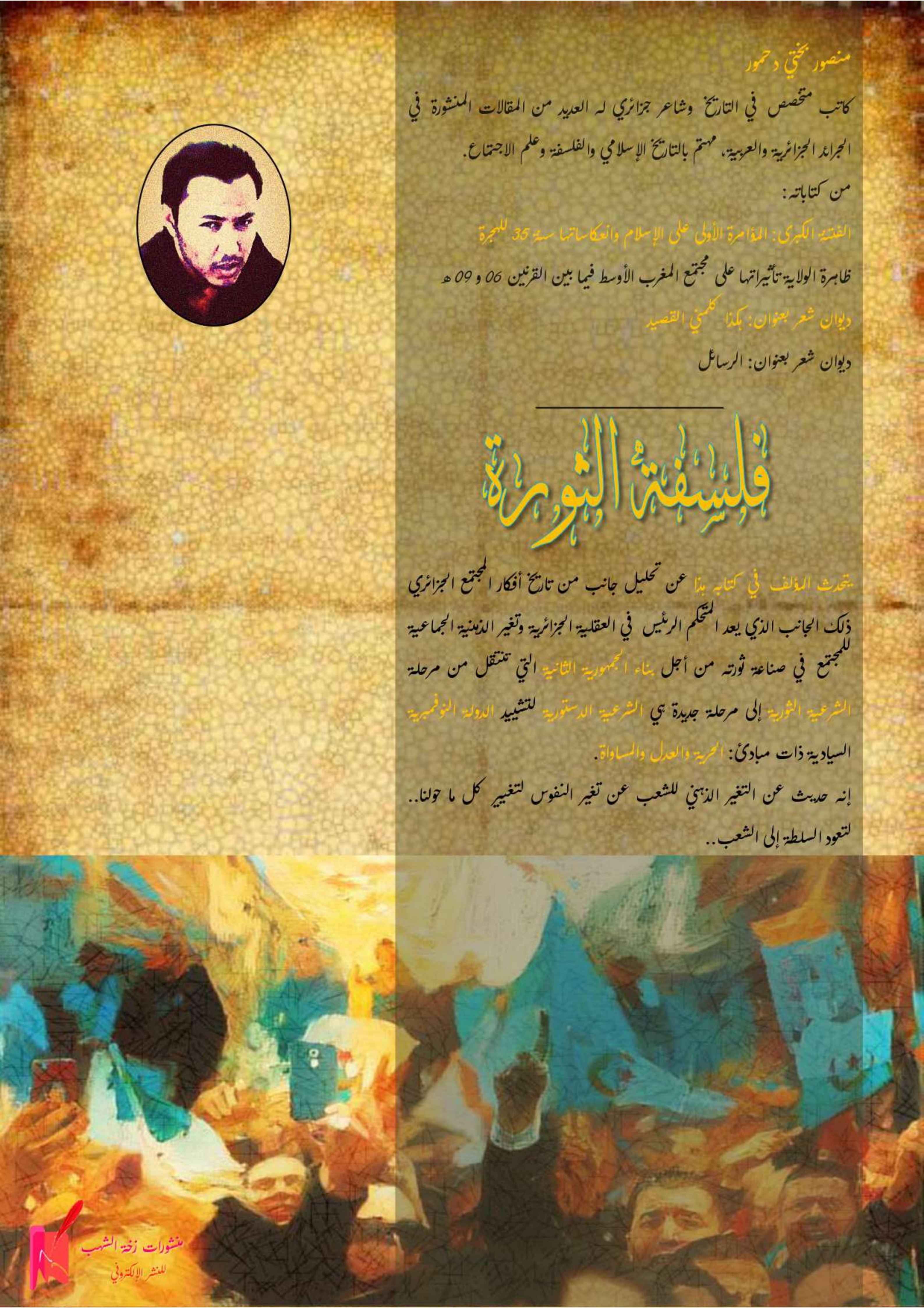
إن إعلان حرب التغيير يستوجب الإعداد للكثير من المعارك، قد ننتصر في التغيير السياسي ولكن معارك المعرفة والتعليم والقيم والبناء والنهضة ستكلفنا سنوات عجاف للوصول إلى بر الغيث لصناعة التاريخ الذي عاشه أجدادنا ولم يبق لنا منه إلا أن نفخر به من خلال تلك الحروف التي تُخطّ على صفحات الكتب القديمة.

لا نريد العودة إلى الازدهار فالازدهار لا يكون إلا بالمضي أماما، ولا نريد التفكير على أسس مجتمعات لا تعيش واقعنا ولم نعش واقعها، لا نريد من الماضي إلا تحقيق لم يستطع من سبقنا تحقيقه.

الكثيرون ماتوا من أجل أن يعيشوا التغيير ولكن الله يأبى إلا أن يعيشه أحدهم بآماله ويعيشه آخر بآلامه ويعيشه غيرهما بصناعته.

ربما تمثل هذه الملاحظات فكرة تدور في عقول الكثيرين وأحداثا مرت على الأكثر منهم، فالمجتمع مجموع أفكار

أفراده، تلك الأفكار التي وإن افترقت في مفاهيمها إلا أنها تجتمع لتبني شعوبا بأسرها تصنع عقلا واحدا يريد أعداؤها تدميره ليصبح التفكر تفكيرا فردانيا نائيا عن العقل الجماعي، حيث يصبح من السهل خلق مجتمعات متعددة كانت قبل ذلك بقليل مجتمعا واحدا يمثل الأمة.



منصور بختي دحمور

كاتب متخصص في التاريخ وشاعر جزائري له العديد من المقالات المنشورة في الجرائد الجزائرية والعربية، مهتم بالتاريخ الإسلامي والفلسفة وعلم الاجتماع.

من كتاباته:

الفتنة الكبرى: المؤامرة الأولى على الإسلام وانعكاساتها سنة 35 للهجرة

ظاهرة الولاية تأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرنين 06 و 09 هـ

ديوان شعر بعنوان: بهذا كلمني القصيد

ديوان شعر بعنوان: الرسائل

فلسفة الثورة

يتحدث المؤلف في كتابه هذا عن تحليل جانب من تاريخ أفكار المجتمع الجزائري ذلك الجانب الذي يعد المتحكم الرئيس في العقلية الجزائرية وتغير الذهنية الجماعية للمجتمع في صناعة ثورته من أجل بناء الجمهورية الثانية التي تنتقل من مرحلة الشرعية الثورية إلى مرحلة جديدة هي الشرعية الدستورية لتشييد الدولة النوفمبرية السيادية ذات مبادئ: الحرية والعدل والمساواة.

إنه حديث عن التغير الذهني للشعب عن تغير النفوس لتغيير كل ما حولنا.. لتعود السلطة إلى الشعب..

منشورات زخة الشهب
للنشر الإلكتروني